العلاقات الأدبيَّة
بين الصفويين و العثمانيّين
فى القرن العاشر الهجرى

الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

العلاقات الأدبية

بين الصفويين والعثمانيين
في القرن العاشر الهجرى

دكتور
محمد السعيد عبد المؤمن

١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست

المبحث الخامس

الإهداء

إلى

زوجتي الحبيبة

تحية تقدير وعرفان

تقديم

إن قصدى من هذا البحث يكمن وراء الإجابة عن عدد التساؤلات التى تردد فى خاطرى منذ بداية اشتغالى بالأدب الفارسي فى عصر الدولة الصفوية ومن خلال دراستى لظروفه التاريخية والحضارية ، وهذه التساؤلات هى :

— لماذا نظم بعض حكام الدولة العثمانية الشعر وكتبوا الرسائل باللغة الفارسية وشجعوا الناس والعلماء على دراستها ؟

— لماذا نظم بعض حكام الدولة الصفوية الشعر وكتبوا مكتوبات باللغة التركية ؟

— لماذا دأب عدد غير قليل من الشعراء والكتاب الصفويين والعثمانيين على النظم والكتابة باللغتين الفارسية والتركية معاً ؟

— هل كانت هناك علاقات أدبية بين الصفويين والعثمانيين ؟

— لماذا كان القرن العاشر بالذات مسرحا لهذه الظاهرة وضعفت فى غيره من القرون ؟

وإذا كانت هذه التساؤلات تمثل قضية أساسية يمكن طرحها فى هذا المجال فما لاشك فيه أنه يتفرع عن هذه التساؤلات أسئلة أخرى تبحث عن إجابة وأهمها :

— ماهى العوامل السياسية والاجتماعية والعسكرية والمذهبية التى ساهمت فى إيجاد هذه الظاهرة ؟

— ما أثر هذه الظاهرة فى الثقافة الإسلامية عامة .

ولقد عمدت إلى تجميع كل هذا فى نسيج واحد متصل له مقدمات ينتهى منها إلى نتيجة وذلك حتى تتحقق وحدة الموضوع وتظهر أهميته من خلال البحث . فالموضوع هو : العلاقات الأدبية بين الصفويين والعثمانيين فى القرن العاشر الهجرى ، عوامل ايجادها والنتائج التى أدت إليها ، ومن ثم اشتمل على خمسة مباحث هى :

١ — المبحث الأول : الاحتكاك بين الصفويين والعثمانيين سياسيا وعسكريا ومذهبيا .

٢ — المبحث الثانى : ديوان السلطان سليم الأول العثمانى بالفارسية دراسة نقدية تحليلية .

٣ — المبحث الثالث : ديوان الشاه إسماعيل الأول الصفوى بالتركية نقداً وتحليلا .

٤ — المبحث الرابع : العلاقة الأدبية بين الشعراء الصفويين والعثمانيين .

٥ — المبحث الخامس : الرسائل المتبـــادلة بين الصفويين والعثمانيين وقيمتها الأدبية .

ولسنا نشك فى أهمية هذا الموضوع لاتقف عند إلقاء الضوء على قسم مهم من الإنتاج الأدبى الإسلامى بل تتعداه إلى تقديم دروس حضارية مستفادة من التاريخ الإسلامى فى فترة من أهم فتراته ، لأننا نحن أبناء العالم الإسلامى أحوج ما نكون إلى فهم الأبعاد المختلفة لتاريخنا الحضارى من خلال رؤية عصرية تعتمد على الأسلوب العلمى القائم على العقل لا العاطفة

والاستفادة من الدروس المختلفة التي يحتوي عليها في معالجة مشاكلنا وقضايانا وفي ذلك تكمن الفائدة من هذه الدراسات ، فالأدب ليس إنتاجا نظريا مجردا يتم بمعزل عن الحياة والمجتمع وإنما الأدب — في أشهر تعريفاته — مرآة تنعكس عليها صور الحضارة ، ويمكن للدارس من خلال البحث في الأدب أن يتعرف على كثير من القيم الإنسانية والحضارية التي تفيد في تطوير أسلوب الحياة دفعا لعجلة التقدم الحضاري والرقي الإنساني .

والله الموفق ؟

المؤلف

المبحث الأول

الاحتكاك بين الصفويين والعثمانيين

الاحتكاك بين الصفويين والعثمانيين

من المسلم به إذا أراد الدارس أن يستكشف ملامح العلاقات الأدبية بين الصفويين والعثمانيين فإن عليه أن يتلمس جوانب الاحتكاك السياسي والعسكري والمذهبي بين الطرفين لأن العلاقة الأدبية وليدة العلاقة الحضارية وناتجة عنها وما الإنتاج الأدبي — في واقع الأمر — إلا إنتاج حضاري تجسدت فيه قيم الإنسان والمجتمع ومظاهر نشاطه المختلفة وما تحمله من آمال وتطلعات ، ولعل من أبرز مظاهر العلاقات الدولية هي جوانبها السياسية لأنها الإطار الشرعي الوذي المعترف به بين كل الدول ، وجوانبها العسكرية لأن القوة الحربية هي الوسيلة الوحيدة لإثبات حق أو تثبيته أو الدفاع عنه أو فرض رأي أو وضع حين تفشل كل المساعي الودية والمحاولات السياسية ، أما الجوانب العقائدية أو الأيديولوجية فهي التي تحدد السياسة العامة والسلوك الجماعي والرسمي لكل دولة بل هي التي ترسم أخلاقيات الأفراد وطريقة تفكيرهم وأسلوب معيشتهم وهي — في نظري — أهم الجوانب وأكثرها تأثيرا وأعمقها نفوذاً وأبعدها في النتائج ، فقد أكدت المصادر التاريخية والحضارية أنه في حين أرادت الدولة العثمانية إحياء الخلافة الإسلامية تحقيقا لمبدأ السنة والجماعة وراحت تفرض زعامتها على الدول الإسلامية وتبسط نفوذها على مختلف أرجاء العالم الإسلامي وتوحد بين دوله وشعوبه على الخضوع لها والإقرار بسلطانها الديني ونفوذها الدينوي ، قامت الدولة الصفوية ملعنة المذهب الشيعي الإثني عشري مذهبا رسميا لها وراحت تبسط سلطانها على أنحاء إيران والعراق وما وراء النهر والهند وكل مكان تستطيع أن تصل إليه ، وتحشد قواها وامكانياتها لنشر هذا المذهب الذي تعتقد

بأفضليته وأحقيته كمذهب رسمى للعالم الإسلامى مما جعل الصدام السياسى بينها وبين الدولة العثمانية أمرا حتميا وأن يمتد هذا الصدام فترة يمكن أن تقدر بعمر الدولة الصفوية وتمتد الى ما بعدها ، لذلك فإن موقعة چالدران التى وقعت بين الطرفين كانت كما بدا معركة حياة أو موت فكان من الممكن أن تنتهى هذه الموقعة بالقضاء على الدولة الصفوية فى مهدها فتصبح إيران إحدى ولايات الدولة العثمانية كما حدث بالنسبة لمصر والشام وغيرهما ، حقيقة إن الدولة الصفوية كانت دولة حديثة العهد فتية فى ذلك الوقت ولم يكن حالها كحال الدولة المملوكية فى مصر والشام فى الضعف والإنحلال إلا أنها لم تكن لتقف على قدم المساواة مع قوة العثمانيين ، لقد بقيت الدولة الصفوية ليتحقق التفاعل السياسى والحضارى والأدبى فى العالم الإسلامى .

مقدمات الاحتكاك

تثبت الوثائق التى فى متناول أيدينا أن العثمانيين كانوا يراسلون زعماء طوائف آق قونيلو وقراقويتلو باللغـــة الفارسية يعبرون فيها عن قدرتهم وواجبهم الذى يفرض عليهم حماية الإسلام والمسلمين واهتمامهم بما يجرى فى العالم الإسلامى واستعدادهم لبذل كل أنواع المساعدة لـكل من يطلبها من المسلمين ورغبتهم فى إقامة علاقات طيبة مع جيرانهم المسلمين ، وكان حكام الدويلات يردون على رسائل العثمانيين باللغة الفارسية أيضا ، وقد حفظت لنا المصادر التاريخية عدد لا بأس به من هذه الرسائل نستشهد منها بتلك الرسالة التى كتبها سلطان حسين ميرزا بايقرا للسلطان بايزيد العثمانى يطلب منه السماح لمولانا كمال الدين عبدالواسع العودة إلى الأوطان ووصال الخلان قد استدعى كتابة هذه الرسالة إيجابا لمسئوله ونيلا لمأموله[١] . وقد رد السلطان بايزيد على هذه الرسالة باللغة الفارسية يجيب سلطان حسين ميرزا إلى طلبه[٢] . ويستفاد من ذلك أن علماء الفارسية كانوا يجدون ترحيباً وإكراماً فى الدولة العثمانية بما يجعلنا نفهم ضرورة ذهابهم إلى تلك البلاد حيث كان السلاطين العثمانيون يطلبونهم ويغدقون عليهم الأموال والصلات ويترتب على هذا بالضرورة إنتشار اللغة الفارسية بين علماء العثمانيين وأدبائهم على الأقل واستفادة الأمراء ورجال البلاء من علماء الفارسية بتعلم تلك اللغة . لذلك

(١) حالا بر مقتضاى حب الوطن من الإيمان داعيه معا ودت بجانب أوطان ومواصلت خلان نموده مستدعى اين رساله كشت ايجابا لمسئوله ونيلا لمأموله [أستاذ نامه هاى تاريخى ص ٦٩]

(٢) المصدر السابق ص ٧٠

استمرت الرسائل الفارسية تتبادل بين سلاطين العثمانيين وحكام الدويلات خاصة عندما ظهرت الدعوة الصفوية واشتد أمرها وتبين الرسائل مدى اهتمام العثمانيين بأخبارها وتتبعهم لها ومراقبتهم للأحداث عن كثب، ومن أمثلة ذلك تلك الرسالة التى أرسلها سلطان يعقوب بيك آق قوينلو إلى السلطان بايزيد الثانى العثمانى يخبره فيها بهزيمة الشيخ حيدر والد الشاه إسماعيل ومقتله، بأسلوب يفهم منه أنه عدو لهما وأنهما ينظران إليه على أنه شيخ ضال لفرقة ضالة كافرة يزينون ظاهرهم ويخدعون عامة الناس حتى ينحرفوا عن الشريعة النبوية، يقول سلطان يعقوب فى رسالته زافا البشرى إلى السلطان بايزيد: « مصداقا لسياق هذا المقال المتابع للأحداث فإن رأس حلقة أرباب الضلال الشيخ حيدر — ولو أن نسبه ينتهى إلى أسرة الأولياء ونسل الأصفياء — إلا أنه بحكم « وما كانو أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون » كان مخالفا لسائر الأخلاف ومغايرا لطريق أسلاف تلك الأسرة. مصراع مسيئا كثيرا لحسن السيرة. فقد توجه إلى كرجستان عازما غزوها ومهتما بلقاء ومقاتلة أهلها واتخذ من جمع رفاقا له بخداعه وتلبيسه ؟ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » . وأطال يد الظلم والعدوان لنهب أموال المسلمين وقتل كل من صادفه من ذكور وإناث وصغار وكبار حتى الأطفال الرضع بالعذاب الأليم والعقاب العظيم وظهر من كلامه وأفعاله آثار الكفر والإلحاد فأمرت جمعا من أمراء الأجناد وأهل الثقة مع سليمان بيك لإعانة المشار إليه — شيروا نشاه — وإغاثته وإمداده ودفع فساد أهل البغى والإلحاد وثم غسل أنجاس الوجود وخبائث وجودهم من صفحة الحياة بزلال السيف البتار وقتل الشيخ حيدر وقت الجدال والقتال، ولم نصل سفينة حياة الشيخ من تلاطم أمواج الهلاك

إلى ساحل النجاة » و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ولما كانت تلك الفرقة ضالة ومجمع ضلال أعـــداء الشرع النبوى وخصماء الطريقة المرتضية والخارجين على الدين والدولة والمتمردين على الملك والملة فإن بشرى خذلانهم وقهرهم كانت أتم البشريات لأصحاب الدين والملة وأعظم المسرات لأولياء الدولة وعامة سكان بلاد الأمن والأمان وقاطبة مواطنى أمصار العدل والإحسان التابعة لنا وتنبغى أن يكون حدوث هذه البشرى السعيدة موجبا لمزيد الشكر لواهب العطيات ودعاء دولة العدالة(١) » .

---

(١) مصدوقه سياق اين مقال مجارى سر حلقه أرباب ضلال شيخ حيدر اگرچه نسبت انسبش بخاندان أولياء ودودمان أصفيـــاء منتهى ميشود أما بمقتضاى وما كانوا أولياءه أن أولياؤه إلا المتقون مخالف سايرا خلاف ومغاير طرق اسلاف آن خانواده بود . مصراع : بدنام كننده نكونامى چند . بوسيله غرض عزم غزو گرجستان وتوجه بمقابله ومقاتله إيشان روانه آن جانب شد وجمعى را بخدعه وتلبيس رفيق خود ساخته يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ودست ظلم وعدوان بنهب أموال مسلمانان دراز كرده وهر كسى كه پيش آمده از ذكور وأناث وصغار وكبار يا اطفال شير خواره بعذابهاى أليم وعقابهاى عظيم بهلاك آورده وآثار كفر والحاد از گفتار وكردار ايشان پديدار آمده جمعى از امراء اجناد سعادت اسناد باسليمان بيك باعانت وأغاثت وأمداد مشار إليه ودفع فساد أهل بغى والحاد تعيين فرموديم . وبزلال شمشير آبدار انجاس وجود خبائث هستى إيشان از صفحه زندگانى شسته شد وشيخ حيدر درحين جدال وقتال مقتول شد وسفينه حيات شيخ از تلاطم أمواج هلاك بساحل نجات نرسيد ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون چون آن فرقه ضال ومجمع ضلال اعداى شرع نبوى وخصماى طريقه مرتضوى وخارجيان دين ودولت وباغيان ملك وملت بودند مزده خذلان ونويد قهر ايشان اتم بشارات أصحاب دين وملت وأعظم مسرات أولياء دولت وعموم ساكنان بلاد امن وأمان وقاطبه متوطنان أمصار

وقد سر السلطان بايزيد بما جاء فى هذه الرسالة وأكرم وفادة الرسول وبادر بالرد عليها برسالة أعلن فيها أن رسالة السلطان يعقوب أسعدت الحاضرين وملأت مجلسهم بالسرور حيث يقول : « لقد زادت فرحة أهل العالمين من انتصار وتغلب الفرق الناجية الباقية ، أبدهم الله على الفرقة الضالة الحيدرية لعنهم الله ودمرهم ، وزاد محفل الروم والشام نوراً وصفاء بأشعة شمع هذا الفتح والظفر(١) » .

وهاتان الرسالتان المتبادلتان بين السلطان بايزيد الثانى وسلطان يعقوب بيك ليستا إلا نموذجا للرسائل المتبادلة بين العثمانيين وحكام الدويلات فى إيران فالسلطان بايزيد كان على صلة بكل هؤلاء الحكام وتثبت المصادر التاريخية أنه كان يحرض آلوندبيك تركمان على قتال الشاه إسماعيل الصفوى لدى ظهوره فى إيران وكان آلوندبيك يرد عليه برسائل فارسية أيضا يعده فيها أن يقضى على القزلباش حيث يقول فى احدى رسائله إليه : « إذا اتفق عمى حضرة السلطان قاسم بيك وأخى حضرة الملك ميرمراد جعلهم الله تعالى على سبيل الوفاق ووفقها إلى دفع أهل الشرك والنفاق ، على دفع وإزالة الجماعة الضالة المضلة القزلباش الأوباش خذلهم الله وقهرهم حسبما أشرتم فهو المراد وإلا فإننى سوف أهتم توكلا على عون العناية الإلهية ويمن همة جلالتكم

عدل واحسان مابود بايدكه ورود اين مشرده فرخنده انجام موجب مزيد شكر واهب العطيات ودعاء دوات عدالت آيات گردد . [منشآت فريدون بيك ص ٣٠٩ — ٣١١] .

(١) از استيلاء وتغلب فرق ناجيه باينديريه أيدهم الله بركروه ضاله حيدريه لعنهم الله ودمرهم جهانيانرا فرحت در فزوده واز أشعه شمع اين فتح وفيروزى انجمن روم وشام را نور وصفا أفزود [منشآت فريدون بك ص ٣١١]

التى هى ملجأ العالم بقلع وقمع أولئك القوم المبطلين وتلك الجماعة المستضعفة السيئة الفعال(١) » .

على أن السلطان بايزيد لم يكتف بمراسلة حكام الدويلات فى إيران بل إنه أراد أن يكسب السلطان قنصوه الغورى حاكم مصر المملوكى إلى صفه وأن يستعديه على الصفويين حيث أرسل له رسالة باللغة العربية يقول له فيها . « وأما قصة غلبة الفرق الضالة القزلباشية فى البلاد الشرقية فإنها بلية تامة ظهرت فى تلك النواحى فدفعهم لازم بل واجب على الأدانى والأقاصى فالمقصود فى دفعهم واستيصالهم بعناية الملك العلام الموافقة والاهتمام لأنهم أهل البدع والضلالة وأصحاب الشرور والشقاوة كلهم روافض وجميعهم ملاعين ، وليس فى قلوبهم الردية أثر المرحمة والشفقة ولا فى طينتهم الخبيثة علائم الهداية والرأفة وأنهم هتكوا عرض المؤمنين والمؤمنات وقتلوا علماء الدين والسادات وأغاروا على أموالهم وأسروا صبيانهم وعملوا فى هذه المملكة أعمالا لا يرى مثلها أحد فى خروج الأولاد الجنكيزية ولا سمع شبهه أذن فى ظهور الأضراب التيمورية(٢) » .

وكان السلطان بايزيد يراسل علماء إيران وأدبائها وشعرائها

---

(١) اكر حضرت سلطنت شعارى عمى قاسم بيك وحضرت مملكت مدارى آخوت شعارى ميرمراد جعلهم الله تعالى على سبيل الوفاق ووفقهما إلى دفع أهل الشرك والنفاق حسب أشارت جها مطاع بدفع ورفع جماعت ضال ومضل أوباش قزلباش خذلهم الله وقمهم اتفاق نمـــايند فهو المراد وإلا توكل بعون عنايت الهى ويمن همت أعلى حضرت عالم پناهى نموده توجه بقلع وقمع آن قوم نابكار وآن كروه بى شكوه بدكردار خواهد شد [منشآت فريدون بك ص ٣١٥]

(٢) د . نابشيان اسناد نامه هاى تاريخى ص ٨٦

ومتصوفيها أيضاً ويرسل لهم الهدايا والصلات والخلع والهبات ومنهم جلال الدين دوانى ونور الدين عبد الرحمن الجامى وشيخ الإسلام سيف الدين أحمد التفتازانى وكان هؤلاء الأدباء والعلماء يردون عليه برسائل الشكر والامتنان، وقد وردت هذه الرسائل المتبادلة بينه وبينهم باختصار واجمال فى منشآت فريدون بيك(١).

(١) منشآت فريدون بك ص ٣٦٦

بداية الاتصال الرسمى

بدأ الاتصال الرسمى بين الصفويين والعثمانيين عندما أرسل الشاه إسماعيل الأول سفيرا يدعى خليل اقاصوفى ارملو إلى السلطان بايزيد العثمانى على أثر الرسالة التى أرسلها خان محمد خان إلى الشاه يخبره فيها بأنه مريض ملازم الفراش وأن الأمير سليم العثمانى يواصل إغاراته على ديار بكر دون إذن من أبيه ، ولما وصل رسول الشاه إلى بلاد العثمانيين استقبلوه استقبالا طيباً وأعد السلطان المجلس لمقابلته واحترمه واستلم رسالة الشاه باهتمام ولكن الأمير سليم عندما علم بوصول السفير توجه على الفور إلى المجلس وجلس بجوار والده فأوجس السفير خيفة وتوقع شرا ، وسأل سليم الأول والده عن محتوى الرسالة فاستأذن السفير لعرض الأمر وقال : بلغ السلطان دعائى وقل له هذه هى رأس شاهى بيك خان من سلالة جنكيز خان محشوة بالتبن لأنه عادانا وخالفنا فإن تهاجمنا قطعنا رأسك مثلها وهذه جواهر خزانة شاهى بيك التى استولينا عليها أرسلها لك فاستشاط غضب سليم وقال : أيها الوالد الظالم كيف تبقى هـــذا الرسول حيا وقد ألقى رأس شاهى بيك محشوة بالتبن أمامك ؟ أرأيت مافعله هذا الشيخ الرافضى الأحمق ؟ فلما رأى السلطان حدة أبنه قال : يابنى إن هذا لايقلل من شأننا بل يعلو به فهذا الملك قد قطع رأس شاهى بيك ملك كل بلاد التركستان وألقاها عند قدمى فانظر هذا السلوك وتبين معناه . ولكن الأمير سليم لم يقبل الأمر وقال : لو سمحت لى فإنى أقتل هذا السفير ، ولما حاول السفير الدفاع عن نفسه قتله رجال البلاط[1] .

---

(١) عالم آراى صفوى . ص ٣٢٨ — ٣٣٢ (مجهول المؤلف)

ولما كان سليم قد أمر بالاستمرار فى مهاجمة ديار بكر مستغلا بذلك مرض خان محمد خان حاكم هذه البلاد من قبل الصفويين أرسل الشاه إسماعيل رسالة إلى أبيه مع سفيره سليمان يساول يقول فيها : ليكن معلوما لدى سلطان البرين والبحرين السلطان بايزيد قيصر الروم أنه ليس للدنيا وفاء ولا بقاء ولااعتبار ولطالما أردنا أن يكون بيننا وبينكم تلك الصداقة التى لا تتحطم عهودها ومواثيقها المحكمة فلماذا لا يمتنع أمير الترك عن تصرفاته السيئة وهذيانات أقواله التى تجاوزت القول إلى التنفيذ مع أن أبطالنا لا يفكرون كثيراً فى أقواله وأفعاله فهم لايستخفون به إكراما لعزتك وحرمتك(١) .

ويبدو أن السلطان سليم قد حاول أن يكبح من جماح إبنه فى معاداة الصفويين وإثارة غضبهم إلا أنه فشل فى ذلك وكان يلقى منه فظاظة وغلظة ويعبر عن استيائه من ضعف أبيه أمام عدوه وسلوكه المهادن بقوله له : « ياوالدى الضعيف الخائر إن كنت قيصر الروم فلماذا ينبغى أن تخاف كل هذا الخوف من شيخ اوغلى »(٢) .

وقد بلغت به القسوة حدا جعله يقيد والده ويسجنه فى قلعة جبلية وجلس

---

(١) معلوم سلطان البريد والبحرين سلطان با يزيد قيصر روم بوده باشد كه دنيا راوفائى وبقائى واعتبارى نيست وهرچند ماى خواهيم كه درميـــانهٔ ما وشمادوستى كه به مواثيق وعهودى كه بسته شده شكسته لشود چرا سلطان زادهٔ روم را مانع حركات ناخوش وهذيانات ازگفتار وكردار اوكه از قول بهفعل مى رسد نمى شوندوا گرچه نهنگان ما بسيارانديشة از گفتار اويا كردار اوندارند ينابر عزت وحرمت شما أورا خفيف نمي سازند : [نفس المصدر ص ٤٥٦] .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥٧ .

هو على عرش أبيه وأمر بأن تكون الخطبة والسكة باسمه وأن تكون قيادة الجيش فى يده يعاونه فى ذلك رستم باشا الوزير الأعظم وينكچرى اقاسى ، وعندما علم أخوه الأمير احمد الذى كان حاكما على اماسيه خبر القبض على والده وتقييده أمر هو أيضا أن تكون الخطبة والسكة باسمه فوصل هذا الخبر إلى سليم وعلم أن الأحوال ستسوء فأمر بقتل والده فخنقوه وقالوا تعاطى أفيونا وقتل نفسه وتطاير الخبر إلى اماسيه فنهض الأمير أحمد لمحاربة أخيه والانتقام لأبيه ولكن رجال القصر خدعوه بأن أبلغوه أنهم قبضوا على سليم وأنهم يدعونه للجلوس على العرش فلما وصل إلى استانبول قتلوه[(١)] .

وقد حاول السلطان سليم أن يرد على رسائل الشاه إسماعيل الشديدة اللهجة وتهديداته فجهز جيشا وسار به إلى ارزنجان قاصداً إيران وكتب رسالة للشاه إسماعيل يوضح فيها أن خلفه لوالده إنما هو نتيجة لتقصيره أمام تهديد الشاه وعجزه عن الرد عليه رداً يحفظ له ماء وجهه ويدل على هيبة الدولة العثمانية ، يقول : « لقد خدعت والدى الشيخ المخرف الذى لم تكن لديه شجاعة عدة مرات وكنت تخيفه مرة برأس شاهى بيك المقطوعة وأخرى بمزقة علم جنكيز خان وحينا بجثة أبى الخير وجعلت هذا الشيخ الأحمق يخشاك لذلك فقد خلعته عن الحكم وعزمت على أن انتقم منك لما فعلته سابقا ولقد كنت أريد أن ازحف إلى ديار بكر فى العام الماضى حتى أحطم ادعاءاتك وأثار القدر قضية أخرى حيث انشغلت بأمر أخى ، وقد فر إبن أخى من أمام عظمتى ولجأ إليك لذلك ينبغى أن ترسله لى مقيد اليد والقدم وطوق الخضوع فى رقبته وترفع يدك عن ديار بكر وتسحب أتباعك من هذه البلاد

(١) المصدر نفسه ص ٦٠٤ .

حتى لا يكون بيننا وبينك حرب وصدام ويقبل ذلك بالصداقة والمودة وإن تفعل غير ذلك فاستعد للحرب(١) » .

ولقد حاول الشاه إسماعيل إزاء هذا التهديد أن يرد بشدة فاستغل العداء الذى بين السلطان سليم وملك البرتغال فى الضغط على سليم حتى يتراجع عن محاربة الصفويين فأرسل له خطابا يقول فيه : « الآن وقد وجدت ريح النخوة طريقا إلى رأسك فإننى بمشيئة الله سوف أقطع رأسك غير المبارك بقوة ساعد أمير المؤمنين فاتح خيبر عليه السلام وأرسلها إلى ملك البرتغال ، وفى شأن إرسال السلطان مراد الذى كتبته فانه قد لجأ إلى بلاط لجأ إليه ملوك العالم وما زالوا وصار ضيفنا علينا ولم يطرد أحد قط ضيفه من منزله فاذا كنتم تريدون هذا فربما يقع اللقاء والسلام(٢) » .

---

(١) « چند مرتبه از براى پدر پير خرف‌شدهٔ ما كه جوهرى نداشت اور فريب ميدادى وهر مرتبه اورامى ترسانيدى وگاهى سر بريدهٔ شاهى بيك خانى فرستادى ووقتى پرچم علم جنگيزخان وزمانى جيفه ابو الخير وآن پيربى تدبير را از خود واهمه ناك ساخته بودى به جهت همين از پادشاهى اورا خلع نمودم وخود عازم آن شدم كه انتقامهاى گذشته را ازتو بخواهم ومى خواستيم كه پارسال بجانب ديار بكر بيايم تالاف وگزاف ترا منهدم سازم قضا اين قسم قضيه برانگيخت چون ازكار برادرم پرداختم وبرادر زاده ام ازپيش شكوه ما فرار نموده نزدتو آمده است بهرحال مى بايداورا دست بسته وپالهنگ در گردن كرده به خدمت بفرستى وخود نيزدست ازديار بكر كرتاه ساخته كما شتگان خود را از آن بلاد وديار بدركز تادرميان‌ما ماو توجنگ وپرخاش برطرف شده به دوستى وآشنائى مبدل گردد و در غير اين كنى پس آمادهٔ جنگ باش » [المصدر نفسه ص ٤٤٢]

(٢) وحال شمارا كه باد نخوت در دماغ راه يافته است أن شاء الله تعالى سرنا مبارك شمارا به زور بازوى خيبر گشاى حضرت امير المؤمنين عليه‌السلام

ولقد كان هذا الخطاب كفيلا بأن يمضى السلطان سليم فيما عزم عليه فتقدم إلى ارذنجان حتى وصلها ثم أرسل رسولا يكرر ماطلب فى رسالته السابقة . وقد كان الأمير مراد بن الأمير أحمد شقيق السلطان سليم قد ثار على عمه فأرسل له السلطان سليم جيشاً لمحاربته بقيادة دلاور باشا وشهباز باشا ولكن دلاور باشا قتل فى الحرب كما فر شهباز باشا مما اضطر سليم إلى أن يسير إليه جيشاً بقيادة رستم باشا الوزير الأعظم . ولما لم ير مراد له طاقة بجيش الوزير الأعظم أرسل يطلب عون الشاه إسماعيل ولكن مدد الشاه إسماعيل تأخر مما أدى إلى هزيمته رغم مقتل رستم باشا وفراره إلى إيران ولجوئه للبلاط الصفوى . وقد عمل الشاه إسماعيل على تجهيز جيش لمساعدته وسار إلى همدان ولكن الأمير مراد مرض فى همدان واضطر إلى العودة إلى اصفهان وظل سبعة أيام بعد رحيله من همدان حياً ثم مات وكان له ولد يبلغ من العمر عشر سنوات وقد تألم الشاه إسماعيل وحزن لوفاته حزنا شديداً وكتب رسالة للسلطان سليم يرد فيها على رسالته الأخيرة وما حوته من مسائل يتهمه بقتل ابن أخيه حيث يقول : « لم يمنح الزمان الأمان لهذا الأمير الأصيل وإن مايجول فى خاطرى هو أنه ربما قد أرسلت جاسوساً فجاء وصار ملازما له وحرض أحد خواصه فدس السم فى طعامه ، غدا قيامة وقد قتلت والده فلم يكن ينبغى لك أن تتحمل حساب ابن أخيك أيضا ؟ ! وعلى كل

برداشته به جهت پادشاه پرتكال فرنگ خواهم فرستاد ودر باب فرستادن سلطان مراد نوشته بوديد ايشان التجابه درگاهى آورده اندكه هميشه پادشاهان عالم به اين درگاه ملتجى شده ومى شوند ومهمان نواب همايون ماشده اندو هيچكس مهمان را از خانه خود بيرون نكرده است چون شمانيز به اين صوب اراده داريد شايد ملاقات واقع شود والسلام : [المصدر نفسه ص ٤٧٣] .

خال لقد أحسنت وأشفقت إذ جئت فإنني بمشيئة الله سأقلب الأمر على رأسك بما يروى بعد ذلك في القصص[1] » .

وقد توالت الأحداث بعد ذلك فالتقى الجيشان عند صحراء چالديران ودارت الدائرة على جيش الصفويين فهزم ودخل السلطان سليم تبريز .

ويدرك الدارس من الأحداث أن موقعة چالديران كانت محصلة طبيعة للعلاقات السياسية العدائية بين سليم وإسماعيل . ولقد عبرت المصادر عما يكنه أحدهما للاخر من عداء فها هو مؤرخ الشاه إسماعيل يكتب عن السلطان سليم فيصفه بقوله : « كان السلطان سليم منذ صغر سنه سيء الغضب مثل الثعبان الأرقم ينفث سمومه القاتلة في الحرم فترة وجوده فيه وقد تأذى والده منه كثيراً ، وكان يشيح بوجهه عنه كلما رآه ، وكان سليم قد قتل ذات يوم جاريتين مقربتين للسلطان بايزيد مما جعله يأمر بجـــلد سليم خمسين جلدة ، كذلك طلبت شقيقة السلطان منه أن يبعد سليما عنها حتى يكف أذاه ، وقد قال السلطان بايزيد لوزيره الأعظم كل مرة أراه فيها يرتعد جسدي وكأنه سيكون قاتلي . ودخل الحرم فنادى على سليم وضربه بدبوس في يده بقوة

---

(١) روزگار امن آن شاهزاده عالى گهر نداد وانچه بخاطر من‌مى رسداين است كه شاجا سوس فرستاده باشيد وا وبحضرت دوستى آمده است وملازم أو شده ودست يا ملازمان نمك بحرام اويكى نموده سم به خوردا وداده ست فرداى قيامت قاتل پدرش بودى بس نبودى با يست كه حساب برادر زاده نيز باتو باشد ؟ ! به همه حال بسيارخوب كرده اى وشفقت نموده اى كه انشاء الله تعالى كارى بر سرت بياورم كه بعد ازين درد استانها بازگويند » [المصدر نفسه ص ٤٧٦]

فوقع مغشياً عليه فظن أهل الحرم أنه مات وقد صدق السلطان ذلك فأمر أن يدفنوه وعندما ابتعدوا به فتح عينيه[1] .

ولم يكن رأى سليم فى إسماعيل بأحسن من ذلك إذ أنه كتب رسالة بالفارسية إلى عبيد الله خان الأوزبكى يذكر له فيها رأيه فى الشاه إسماعيل ويحرضه على حربه يقول فيها : « لقد ضاق أهالى بلاد الشرق منذ مدة من تسلط ابن الصوفى هذا اللئيم القذر الأثيم الأفاك الذميم السفاك وقد ترقى من صف نعال الخدمة إلى صدر صفة القيادة وجعل من الانحراف شعاراً له دثارا فى تلك الرقعة من تلك الديار[2] » .

ولكن يبدو أن الشاه إسماعيل بعد هزيمته فى چالديران أحس بأن هذه السياسة العدائية التى كان ينتهجها ضد السلطان سليم لن تمكنه من تحقيق أهدافه السياسية والمذهبية خاصة مع قوه العثمانيين التى ظهرت بوضوح فى موقعة چالديران لذلك رأى أن يهادن السلطان سليم ريثما يستعد لجولة أخرى لذلك فإنه بعد أن ترك السلطان سليم تبريز وعاد إلى استانبول أرسل له الشاه إسماعيل يدعوه فيها إلى السلام والصداقة ونبذ الحرب والعداوة حيث يقول : —

« إن الخلاف بين السلاطين المتدينين يؤدى إلى اختلال مبانى الدين والإيمان ويتسبب فى جرأة أهل الكفر والعصيان وكل مذهب يشير إلى

---

(١) عالم آراى صفوى ص ١٤٩ .

(٢) « مدتى است كه أهالى بلاد شراز دست صوفى بچة لئيم ناپاك اثيم افاك ذميم سفاك بجان آمده اند ، از صف نعال فرمانبرى بصدر صفه فرماندهى ترقى يافت در رقعه بقعه آن ديار چون خط ترسا كژ روى راشعا رود ثار خود ساخت » [اسناد نامه هاى تاريخى ص ١٠٤]

حقيقة مؤداها : من سبق بين الأخوين بالصلح فهو أسبق بدخول الجنة وإن السبق برعاية حقوق الأخوة ووثوق المحبة باهداء آثار الموافقة وإشعار شعار المصادقة هو مضمون السعادة كما تشير الآيات الكريمة : « الصلح خير » ، « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما » ، « ولا تتبع سبيل المفسدين » . ولقد أدركت ذلك وتنبهت إليه فأرسلت إليكم ملجأ السيادة وأداة الإفادة والإفاضة الأمير نور السيادة ونور الدين عبد الوهاب لإرساء الأساس والتضامن وتغيير الخلاف والتباعد صوب النهاية الصحيحة[1] .

ولكن يبدو أن هذه الرسالة لم يكن لها أثر كبير على سليم إذ ظل على عدائه مع الصفويين حيث فكر مرة أخرى فى غزو إيران عندما سار فى الطريق إلى إيران وجد مكانا يصلح للصيد والقنص فأعجبه المكان وأقام هناك وفيما هو يطارد صيداً فوق جبل هوى من أعلى الجبل فدقت عظامه وأسلم الروح .

وبعد وفاة السلطان سليم حاول الشاه إسماعيل أن يوجد علاقات طيبة مع السلطان سليمان القانونى فأرسل له رساله بهذا المعنى معزيا له فى والده

---

(١) « مخالفت سلاطين ديندار موجب اختلال مبانى دين وإيمان وسبب جرأت وجسارت أهل كفر وعصيان ميشود هرآينه بمقتضاى حقيقت مؤداى من سبق بين الأخوين بالصلح فهوا سبق بدخول الجنة رعايت حقوق الأخوة ووثوق المحبة باهداء آثار موافقت وا شعار شعار مصادقت مسابقت نموده مضمون سعادتْ رهنمون آيهٔ كريمهٔ الصلح خير ، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، ولا تتبع سبيل المفسدين ، جهت توجه وقدوهٔ تقبه ساخته سيادت پناهى ،افادت وأفاضت دستگاهى أمير نور السيادة ونور الدين عبد الوهاب را جهت تأسيس أساس ويگانگى وتغيير مخالفت وبيگانگى بدان صوب صواب مآب روانه گردانيده است » . [المصدر السابق ص ١١٩

ومهنئا له على توليه الحكم، وقد رد عليه السلطان سليم برسالة كتبها بالفارسية يبدى فيها حسن استقباله لمضمون رسالته(١) .

وقد يبدو من هـذا أن الأمور قد استقامت بين الدولتين وأن عهداً جديداً من المودة والصداقة بينهما قد بدأ بموت سليم وتولى سليمان ولكن الدارس يدرك أن الرد الودى للسلطان سليمان على رسالة الشاه إسماعيل لم يكن سوى تدبيرا سياسياً واعيا لمقتضيات الأمور ريثما يستقر الأمر فى الدولة العثمانية ويدعم نفوذه ويثبت أقدامه فى الحكم لذلك فإنه عندما أدرك أن الدولة دانت له وأسلمت قيادها فكر فى أن يحقق ما أراد والده تحقيقه .

فأرسل رسالة إلى الشاه إسماعيل باللغة التركية يهدده فيها ويتوعده ويتضح من خلالها بجلاء عزمه على غزو إيران ، ولقد نفذ تهديده عندما قام بأول عمل عدائى له ضد الدولة الصفوية وهو قيامه بإرسال جيش لاحتلال بدليس سنة ٩٣٨ هـ ولكن يبدو أن هذه الحملة قد فشلت ولقد حاول سليمان تبرير حملته بأنه لم يقصد منها غزو إيران وإنما الرد على اعتداءات حكام الحدود الصفويين وتأمين حدوده حيث أرسل رسالة باللغة الفارسية إلى الشاه طهماسب يقول فيها : «لما كانت قد صدرت من جانبكم قبل هذا بعض الأعمال الشنيعة مثل تخريب قلعة اخلاط وارجيش وزحف جيوشكم إلى أرضروم والإشتباك مع الاسكندر حاكم تلك المنطقة ووصلت هـذه الأنباء المتواترة لسمعنا صممنا على الزحف إلى إيران(٢) .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٠ .

(٢) چون قبل از این بعضى حركات شنيع از آن جانب صادر شده بود مثل خرابى قلعهٔ اخلاط وارجيش وتوجه به أرض روم با اسكندر حاكم آن جا واين أخبار به تواتر به سمع مارسيد عزيمت عجم مصمم گرديد . [شاه طهماسب ص ٢٧٥]

ولقد حاول سليمان فى هذه الرسالة أن يبدى استعداده للتفاهم والسلام ولكن ما يمنعه هو خوفه من ألا يحفظ الصفويين عهدهم وميثاقهم ولكى يضمن استقرار السلام فى هذه المنطقة فلقد طلب التنبيه على حكام حدود الصفويين بعدم القيام بأعمال عدوانية حيث يقول : « إن كان للعهد والميثاق الذى كتبتموه وارسلتموه اعتبار ويمكن الإعتماد عليه وليس من قبيل ما تقوله الآية الكريمة : « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم » فابعثوا إلينا أحد الأمراء المعتبرين يكون عاقلا كاملا فصيحاً حتى لا يحيد عن الوعد والشرط الذى يعقد ولن يرى منا غير اللطف والإحسان(١) » .

وكان يمكن للصلح أن يتم وللسلام أن يستقر حيث أرسل الشاه طهماسب رسالة إلى السلطان سليمان يرد فيها على رسالته مؤكدا رغبته فى الصلح والسلام وأن الوسيلة المثلى لذلك هو تبادل الرسل والرسائل بين الجانبين حتى يتم الوصول للرأى والوضع الأمثل ، يقول : « لما كان بنيان الصداقة والتصافى حسب الرسوم والعادات يدعم ويستحكم بتبادل الرسل والرسائل فإن من المأمول والمتوقع أن تفتحوا دائما أبواب المكاتبات والمراسلات حتى تظهر حقيقة صلاح الجانبين وإصلاح ذات البين وتتضح لجميع العجزة والمسلمين(٢) » .

---

(١) اگر بر عهد وميثاقى كه نوشته ارسال نموده اند اعتبار واعتمادى توان كرد واز قبيل مضمون آيهٔ كريمهٔ «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم» نيست ازامراى معتبر شخصى كه اعقل واكمل وسخندان باشد روانهٔ اين صوب سازندتا قول وشرطى كه واقع شود از آن انحراف نور زند كه از اين جانب بغير از لطف واحسان چيزى نخواهنديد » . [شاه طهماسب ص٢٧٥]

(٢) چون به حسب رسوم وعادات بنيان مصادقت ومصافات به إبلاغ رسل و رسايل مؤكد ومستحكم است مامول ومتوقع آن كه همواره أبواب

ولكن استجد فى الأحداث ما أثر فى العلاقات السياسية بين الصفويين والعثمانيين حيث واجه طهماسب الأول محاولة أخيه القاص ميرزا الاستقلال بنفسه فى الحكم فتمرد على أخيه سنة ٩٥٣ هـ ، ولكن سرعان ما استطاع طهماسب أن يخضعه ويقضى على تمرده ثم عفا عنه ولكن القاص ميرزا عاد فتمرد على أخيه مرة أخرى فلما علم أنه لا يستطيع أن يواجه أخاه فر إلى استانبول وحرض السلطان سليمان على غزو إيران(١) .

ولكن الظروف عادت فساعدت طهماسب حيث حدث خلاف فى البيت العثمانى بين الأمير سليم الثانى ولى العهد وأخيه بايزيد وهو الأبن الأصغر للسلطان سليمان واحتدم الخلاف بينهما مما اضطر السلطان إلى عزل بايزيد عن ولاية كوتاهية سنة ٦٩٢ هـ (١٥٥٥ م) وأعطاها لسليم فتأذى بايزيد وتوجه على رأس جيش كبير لمحاربة أخيه فغضب السلطان سليمان من تمرده وتوجه بجيشه لدفع بايزيد وتمكن من هزيمته ولما أحس بايزيد أن الدائرة دارت عليه وأنه لن يفلت من عقاب والده قدم أسفه لما حدث وأبدى ندمه على تمرده ورغبته فى الدخول فى طاعة والده إلا أن السلطان سليمان لم يصفح عنه فاضطر للفرار مع أبنائه الأربعة وعشرة آلاف شخص من أتباعه وملازميه إلى إيران عن طرق ارمنستان فاستقبله الشاه طهماسب أحسن استقباله وعمل على راحته وأسكنه أفخم قصور أسرته ووعده ألا يسلمه لوالده(٢) .

وقد كتب الشاه طهماسب إلى السلطان سليمان رسالة يشفع فيها للأمير

مكاتبات ومراسلات مفتوح دارندتا حقيقت صلاح جانبين وإصلاح ذات البين بر جميع عجزه وسلمانان ظاهر وهو يد اكشته . [شاه طهما سب ص ٢٨٢]

(١) شاه طهماسب ص ١٦٦

(٢) مذكرات طهماسب ص ٨٧

بايزيد ويؤكد إن تسليمه لأخيه سليم أمر أدعى لخوفه وفراره ويطلب منه أن يصدر أمراً بالعفو عنه حتى يسكن خاطره ويعلم أن عذره قد قبل وتوبته قد صلحت يقول فى رسالته : « الآن ومن موضع كمال الاعتماد على رحمة ذلك الملك عالى الجاه وكرمه أملا فى عطاء من يشفع شفاعة حسنة يكون له نصيب منها فقد دخلت مقام الاستشفاع والاعتذار عن الأمير المشار إليه وقمت بإرسال رسالة المحبة والخير هذه فى أسعد الأوقات وأطيب الساعات . . . ماذا يليق ويناسب الأمير المخطىء الآمل غير أسلوب العفو والرحمة وشيمة اللطف ؟ وماذا يمكن توقعه من كمال الخلق الكريم واللطف العميم من ذلك العالى الحضرة مع وجود زلات وتقصير صدر عنه «الأمير» ؟ .. ونأمل أن تكتبوا رسالة لى مشحونة بالجواهر الزواهر الصورية والمعنوية على سبيل اللطف والرحمة وأمرا بالعفو والحرية للأمير المشار إليه(١) .

وقد توقع بايزيد أن يمده طهماسب بجيش لمحاربة والده ولكن طهماسب لم ير فى قبوله طلب بايزيد مصلحة لإيران وهو يسعى إلى التفاهم مع الدولة

---

(١) « اكنون از آن جا كه كمال اعتماد به مرحمت ومكرمت آن پادشاه عالى جاه است به اميد وارى موهبت من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها در مقام استشفاع واعتذار شاهزاده مشار إليه در آمده بارسال اين صحيفهٔ محبة وخير خواهى مصرع أوقات فرخنده ساعات گشت . . . نسبت به شاهزادهٔ خطا كارا ميدوار غير از شيوهٔ عفوو مرحمت وشيمهٔ لطف وشفقت چه لايق ومناسب تواند بود وباوجود زلات وتقصيرات كه ازاوبه وجود آمده از كمال خلق كريم ولطف عميم آن اعلى حضرت چه توقع توان داشت . . . اميدوار است كه عنايت نامه مشحون به جواهر زواهر صورى ومعنوى از روى لطف ومرحمت به مخلص ونامهٔ عفو وآزادى به شاهزادهٔ مومى اليه شرف صدور يابد » . [شاه طهماسب ص ٣٦٥ — ٣٦٧

العثمانية خاصة وأن السلطان سليمان قد رد على رسالته برسالة يخوفه فيها سوء أفعال ابنه بايزيد ويؤكد له أن مافعله من أعمال قبيحة فى حقه وحق أخيه أمر لا يقبل التسامح والصفح حيث قال فى رسالته التى كتبها بالتركية : « لم يستمع إلى الأحكام الصالحة الموقعة إليه ولم يرفع يد الجرأة عن التطاول على أموال المسلمين ونفوسهم بالخسران ولم يترك عجزة الرعايا والبرايا فى راحة من أعماله الباطلة المضرة المؤذية وقد خرج سوء أدبه وقبح تطاوله ومطالبه عن حد الإعتدال[(١)] » .

ومع أن السلطان طهماسب اعتبر كلام السلطان سليمان فيما يتعلق بابنه بايزيد من قبيل التحامل إلا أنه مالبث أن أدرك صدقه إذ نقل له جواسيسه وعيونه من شأن بايزيد ماجعله يفهم أنه يدبر مؤامرة ضده فأمر بالقبض عليه ولكن بايزيد هرب إلى جيلان وتبعه رجال الملك فقبضوا عليه وأودعوه السجن فى شعبان سنة ٩٦٧ هـ (١٥٦٠ م) وقتلوا كثيراً من أتباعه[(٢)] .

وقد كثرت الرسائل المتبادلة بين السلطان سليمان والشاه طهماسب فى شأن الأمير بايزيد حيث ورد فى منشآت فريدون بيك أكثر من ثمان رسائل والرد عليها بين الملكين بخلاف الرسائل الكثيرة المتبادلة بين رجال الدولة فى كل من إيران وتركيا ، وقد شرح الشاه طهماسب فى إحدى رسائله سبب

---

(١) أحكام صلاح انجاص سمع رضا ايله اصغا ايتميوب متصل دست جسارتى خسارت نفوس وأموال مسلمينه اطاله دن دور قلميوب عجزه رعايا وبرايانى حواله ٔ باطله ٔ آزار واضراردن مهجور او لمدى بس سوء ادبى وقبح تاراج وطلبى حد اعتدالدن متجاوز او لمغين : [منشآت فريدون بك . ح٢ ص ٢٦ — ٢٨] .

(٢) مذكرات طهماسب ص ٧٩ — ٨٠ :

القبض على بايزيد وما آل إليه حاله وطلب من السلطان سليمان الرأى فيما يمكن عمله معه إذ يقول : « فيما يتعلق بحياته ومماته هو وأولاده فالأمر والإشارة من ذلك الملك العظيم ظل الله وعلى كل حال فإن ما تشيرون به فيما يتعلق بالمشار إليه وأولاده سوف ننفذه بالسمع والطاعة(١) » .

ولعل هذه الرسالة الودية كانت أساساً لتوقيع معاهدة صلح وسلام بين الطرفين وقد حفظت الرسائل نص هذه المعاهدة ومؤداه أن يسلم الشاه طهماسب الأمير بايزيد لأخيه الأمير سليم وأن تبقى قلعة قارص خربة دائماً فلا يهتم أحد الطرفين بتعميرها حتى تبقى منطقة حيادية منزوعة السلاح بين ولاية أرض روم التركية وولاية ارمنستان الإيرانية وأن يعد الأمير سليم بعدم التعدى على أمراء الحدود وأن يتبادل معهم الهدايا(٢) .

وقد توفى السلطان سليمان أثناء محاصرته مدينة سيجت سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م) فأخفى الصدر الأعظم خبر موته حتى عاد السلطان سليم الثانى إلى استانبول (٣) .

وقد تبادل الشاه طهماسب مع السلطان سليم الهدايا والسفراء وتم فى النهاية الموافقة على تجديد معاهدة الصلح المبرمة بين الطرفين فى عهد سليمان(٤) .

---

(١) در باب حيات وممات او وفرز ندان امر وأشارت از آن أعلى حضرت پادشاه ظل الله است . مجملا آن كه انچه آن أعلى حضرت درباب مشار اليه وفرزندان اشارت فرمايند سمعا وطاعه گويان به تقديم مى رسانده.
منشآت فريدون بك ج٧ ص ٤٦ — ٤٨ .

(٢) نص المعاهدة مدون فى مذكرات طهماسب بالفارسية ص ٨١ ، وفى رسالة بالتركية للسلطان سليمان العثمانى فى منشآت فريدون بيك ج٣ ص ٤٣ .

(٣) شاه طهماسب ص ٤٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٥٩ .

وعلى هذا الأساس انصرف كل حاكم إلى شئونه الداخلية وساد السلام والوفاق فى العلاقات السياسية بين الصفويين والعثمانيين طيلة حكم سليم الثانى وفترة حكم مراد الثالث حيث شجعت الاضطرابات التى عمت إيران بعد وفاة الشاه طهماسب الصفوى وقتل حيدر ميرزا وتولى إسماعيل الثانى الحكم مما دفع العثمانيين على نقض معاهدة الصلح والإغارة على مدن إيران فزحفت الجيوش العثمانية واستولت على كرجستان وشيروان ثم على آذربيجان وقراباغ وكيخه وانحسر الحكم الصفوى عن هذه المناطق[(١)] .

ولم تجد رسائل السلام التى بعثها الشاه محمد بن طهماسب إلى السلطان مراد الثانى والتى تدل على ضعف الصفويين أمام العثمانيين . وقد ظلت العلاقات السياسية بين الصفويين والعثمانيين سيئة حتى تولى الشاه عباس الأول حكم إيران واضطر فى بداية حكمه أن يعقد معاهدة مع العثمانيين يعترف فيها باحتلالهم لورستان وشهرزور وشيروان وجزء من آذربيجان وتم التوقيع على هذه المعاهدة سنة ٩٩٨ هـ[(٢)] .

(١) المصدر نفسه ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٨٤ .

الاحتكاك العسكرى بين الصفويين والعثمانيين

لعل أول إحتكاك عسكرى بدأ بين الصفويين والعثمانيين عندما أرسل سلطان مراد حاكم شيراز بعد هزيمته من الشاه إسماعيل الصفوى يطلب المعونة من أخيه الوند الذى كان حاكما على كنجه وشيروان وقراباغ والذى كان تحت إمرته خمسة عشر ألفا من جيش العثمانيين فخف لنجدته وتقابل هذا الجيش مع جيش القزلباش من أتباع الشاه إسماعيل بالقرب من همدان وقتل فى هذه المعركة الوندشاه والقائد العثمانى عمر باشا وزميله زال باشا فى يوم واحد ثم قتل محمد باشا ومصطفى باشا وقانى ساد باشا الذى كان وزيراً أعظماً للعثمانيين فى اليوم التالى مما أدى إلى هزيمة جيش العثمانيين وقتل أربعين ألفا منهم[١] . وهذه الرواية على مافيها من مبالغة إلا أنها تدل على أن الإحتكاك الصفوى العثمانى بدأ بصورة غير رسمية وبطريقة عفوية لم يخطط لها ، ولكن أمثل هذه الواقعة لابد وأن توغر صدر السلطان العثمانى وأركان دولته .

ولعل الأمر الذى أثار السلطان سليم خلال فترة حكم والده بايزيد هو استيلاء القائد الصفوى خان محمد خان على إقليم ديار بكر فطلب من حكام الحدود أن يحاربوا الصفويين ويطردوهم من هذه المنطقة ولكنهم طلبوا منه إذنا كتابياً من السلطان بايزيد فرفض بايزيد أن يسمح لهم بذلك ولما يئس سليم من أبيه حرض أبناء علاء الدولة على القيام بإخراج الصفويين من منطقة ديار بكر رغم تحذير علاء الدولة لأبنائه اردوانه بيك وقايتمز بيك

---

(١) عالم آراى صفوى صـ ٧٧ — ٨٣ .

استجلو وكور شاهرخ بعدم التورط ضد الصفويين إلا أنهم أصروا على عزمهم وإزاء إصرارهم أمر جيشه بالسير معهم ولكن خان محمدخان استطاع هزيمتهم وقتل في المعركة إثنين من أبناء علاء الدولة هما اردوانه بيك وقايتمز بيك مما أغضب السلطان سليم فطلب من عثمان باشا حاكم ارزنجان مساعدة أبناء علاء الدولة مما جعلهم يدخلون الحرب من جديد، ولكن الجيش الصفوى تمكن مرة أخرى من هزيمتهم وقتل عثمان باشا وكورشاهرخ ومحمد بيك[1].

وقد أغار سليم بنفسه عدة مرات في عهد أبيه على ديار بكر ولما كان خان محمد خان مريضا فقد استدعى أخاه قراخان وأمره أن يغير على إقليم ارزنجان مما أقلق السلطان بايزيد وعنف سليما لأنه اعتبر هذا العمل العدائى رد فعل لتحرشه بالصفويين[2].

والواقع أن بايزيد لم يقم بدور إيجابي إزاء هذا العمل مما شجع خان محمد خان على التمادى في أعماله بل وأرسل رسالة إلى السلطان بايزيد مع سفيره مراد بيك، يقول فيها: « ليكن معلوما لدى السلطان وابنه الأمير سليم أنه إن لم تأت لحاربتى أنت أو ابنك فإنه ينبغي عليك أن تجلس في الحريم وترتدى ثياب النساء ولا تحمل اسم الرجال بعد ذلك[3].

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٨ — ١٤٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٨ — ١٥٩ .

(٣) « معلوم قيصر وسلطان سليم سلطان زاده روم بوده باشدكه اگر دربرابر نيايى وجنگ نكنى ياخود يافرزندت مى بايدكه در حرم بنشينى واين لباس زنانه راپپوشى وديگر نام مردى را نبرى : عالم آراى صفوى ص ١٦١ .

ولقد حاول السلطان بايزيد أن يخفى محتوى الرسالة عن ولده سليم حيث أنها لم تصدر من الشاه إنما صدرت من أحد عماله فعمل على أن يعيد الرسول معززا مكرما إلى دياره ولكن الأمير سليم علم بحضور الرسالة وثار فى وجه والده الذى حاول أن يهدىء من روعه بأن هذه الرسالة لم تصدر عن ملك حتى يكون لها شأن ولكن الأمير سليم لم يقتنع بما قاله أبوه ولم يهدأ بهذا الرد وأخذ يعد العدة لمحاربة الصفويين .

وكان أول احتكاك رسمى بين الصفويين والعثمانيين عند توجه السلطان سليم إلى إيران على رأس جيش كبير احتل به ارزنجان ثم تقدم إلى منطقة ارضروم مما اضطر الشاه اسماعيل أن يحشد قواته ويجمع الجند من مختلف الولايات وتوجه إلى تبريز ثم قصد صحراء چالديران حيث تقابل الجيشان وعندما تواجه الفريقان أرسل السلطان سليم إلى الشاه إسماعيل يهزأ به ويسخر منه فرد الشاه اسماعيل عليه برسالة يقول فيها : « إن لم تكن لى قوة كبيرة ولا أستطيع أن أقف فى مواجهة جيشك فإننى بقوة ساعدى الولاية لفاتح خيبر المستولى عليها أسد الله الغالب غالب كل غالب مظهر العجائب نائب الرسول وإمام المشارق والمغارب ملك الرجال أسد الله ووليه صهر رسول آخر الزمان نور الشمس والقمر ضياء عين أهل النظر صاحب ملك العدل حيدر ممزق الصفوف الشجاع أمير المؤمنين حيدر على بن أبى طالب عليه السلام فإننى مع هؤلاء الثمانية عشر ألف شخص الذين أحضرتهم قد وقفت أمام تسعمائة ألف من جنودك وإن كان لك من الرجولة فى العالم

نصيب فرق مدفعيتك ألا تطلق النار حتى يظهر الرجل من الجبان وحتى أحارب بهذا القسم(١) .

وتقول المصادر الفارسية إن سليما أقسم بالطلاق من زوجته أن يستخدم المدفع ولكن الوزير الأعظم استخدمها بنفسه حتى لا يحنث السلطان ورغم ما في هذه الرواية من المبالغة والتبرير إلا أنها تشير إلى ضعف الصفويين في مواجهة العثمانيين وهو ما أكدته نتيجة المعركة إذ انتهت موقعة چالديران بهزيمة الصفويين ودخول السلطان سليم إلى تبريز سنة ٩٢١هـ وسنة ١٥١٤م ولكن سوء الحظ لازم سليما إذ حدث قحط في تبريز وضاق الأمر على العثمانيين وثار أهالى تبريز شريفهم ووضيعهم مما اضطر السلطان سليم أن يأمر بالرحيل عنها وقد انتهز الشاه اسماعيل الفرصة فدخلها وأمر بقتل من تبقى من العثمانيين(٢) .

---

(١) اگر مراقوت وزور وبازوى نيست ونمى توانم دربرابر سپاه تودر آيم أمامن به زور وبازى وقوت دست ولايت خيبر گير وخيبر كشاى أسد الله الغالب غالب كل غالب مظهر العجايب وپغمبر را نايب وإمام مشارق ومغارب شاه مردان شير يزدان ولى سبحان داما رسول آخر الزمان نور شمس والقمر روشنايى ديدهٔ أهل نظر كد خداى ملك داد حيدر صفدر دلاور أمير المؤمنين حيدر على بن أبى طالب عليه السلام با اين هيجده هزار كس كه باخود برداشته م ودر برابر نهصد هزار كس تو ايستاده أم واگرچنانچه او مردان عالم نشانى دارى بفرماى تاتو بچانه را بر آتش نزنند تا ظاهر شود مرد ازنا مرد تايه اين قسم جنگ مى كنيم » . [المصدر السابق ص ٤٨٩] .

(٢) عالم آراى صفوى ص ٥٠٣

ولقد حاول السلطان سليم فى طريق عودته أن يستولى على قلعة ورساق بالقرب من تبريز ولكن قدوم الشاه اسماعيل لمساعدة أهل القلعة لم يمكنه من ذلك فواصل سيره إلى استانبول[١] .

حاول السلطان سليمان القانونى أن يستولى على إيران عدة مرات فكان لا يسأم من إرسال جيوشه إلى حيث أرسل عدة حملات انتهت بالإستيلاء على بدليس سنة ٩٣٩ هـ[٢] ثم أرسل عدة حملات أخرى إلى تبريز استولت الأولى عليها لكنها لم تهنأ بهذا الفتح إذ سرعان ما حل فصل الشتاء القاسى فكبدت البرودة الحملة خسائر فى الجنود والعتاد فعادت إلى بغداد عن طريق شهرزور ، ولقد أرسل سليمان حملة أخرى إلى تبريز سنة ٩٤٨ هـ . ولكن هذه الحملة فشلت وقتل سنان باشا قائد الجيش[٣] . وعندما تمرد القاص ميرزا على أخيه الشاه طهماسب لجأ إلى السلطان سليمان وحرضه على غزو إيران فتقدم جيش العثمانيين وتمكن من هزيمة الصفويين ودخل تبريز مرة أخرى فى يوم الخميس ٢٠ جمادى الثانى سنة ٩٥٥هـ ولكنه هذه المرة أيضاً لم يستطع أن يبقى طويلا فى تبريز إذ أنه بالإضافة إلى سوء الأحوال الجوية فرض أهالى تبريز ضده حصاراً منعوا عنه المؤن وحرقوا المحاصيل وكانوا يغيرون على معسكرات الجيش على طريقة حرب العصابات[٤] . ولقد أرسل السلطان سليمان القاص ميراز على رأس جيش لفتح همدان فاستولى عليها ثم استولى

---

(١) المصدر السابق صـ ٥١٢

(٢) شاه طهماسب صـ ١٥٥

(٣) شاه طهماسب صـ ١٥٦ - ١٥٧

(٤) شاه طهماسب صـ ١٦٦

على قم والرى وكاشان وتقدم الشاه طهماسب بجيشه ليواجه هذا الغزو وكان الجيش العثمانى بقيادة القاص ميرزا يزحف إلى بغداد مما أحنق السلطان سليمان عليه واعتبر عودته إلى بغداد هزيمة فاضطر إلى الفرار عائدا إلى إيران وقد عفى عنه الشاه طهماسب فانتظم فى بلاطه فى الثلاثاء التاسع من رمضان سنة ٩٥٦ هـ[(١)].

وقد توقف الاحتكاك العسكرى بين الصفويين والعثمانيين لدى عقد معاهدة السلام بين الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانونى ودام السلام طيلة حكم هذين العاهلين حتى مات الشاه طهماسب وحدث خلاف على تولى الحكم فى إيران بين حيدر واسماعيل الثانى انتهى بقتل حيدر ميرزا وتولى الشاه إسماعيل الثانى حيث استغل العثمانيون هذه الأحداث وأغاروا على إيران فاستولوا على كرجستان وشيروان[(٢)].

ثم إن موت الشاه اسماعيل الثانى المفاجىء لم يمكن الإيرانيين من استعادة هذه الأراضى بل شجع العثمانيين على الزحف إلى آذربيجان والاستيلاء على مدينة تبريز سنة ٩٩٣ هـ . ١٥٨٥ م[(٣)]. وقد حاول الأمير حمزة ميرزا قائد الجيش الصفوى أن يستعيد هذه الأماكن ويوقف زحف العثمانيين ورغم أنه تمكن من إلحاق الهزيمة بهم بالقرب من شنب غازان وقتل محمد باشا حاكم ديار بكر العثمانى وعشرين ألفا من الجيش العثمانى ثم تعقب عثمان باشا لدى تقهقره مما أدى إلى موته وفرار جنوده بالإضافة إلى انتصاره على حاكى

---

(١) شهاه طهماسب ص ١٦٨ - ١٦٩

(٢) طهماسب ص ٤٨٣

(٣) المرجع السابق ص ٤٨٤

ايروان وسلماس العثمانيين إلا أنه لم يستطع أن يتم ما بدأه حيث تمرد عليه القزلباش وقتل بيد الخيانة فى أواخر سنة ٩٩٤ هـ - ١٥٨٦ م[١] . وتمكن العثمانيين إثر ذاك من الإستيلاء على قراباغ وگنجه فاضطر الشاه عباس الأول الذى كان مشغولا بمحاربة الأوزبك إلى عقد معاهدة مع العثمانيين تنازل لهم بموجبها على مناطق لورستان وشهرزور وشيروان وجزء من آذربيجان وكان ذلك فى سنة ٩٩٨ هـ ٢١ مارس بسنة ١٥٩٠ م[٢] . وتوقف الاحتكاك العسكرى حتى نهاية القرن العاشر ويستطيع الدارس أن يدرك مدى ضعف موقف الصفويين أمام العثمانيين فى أواخر هذا القرن على غير ما بدأ فى أوائله من تماسك فالعثمانيون وإن كانت كفتهم قد رجحت خلال الاحتكاك العسكرى بين الطرفين إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على الدولة الصفوية أو إجبارها على ترك المذهب الشيعى أو إخضاعها للسيطرة العثمانية ولكنهم تمكنوا من التغلب عليهم وإذلالهم فى أواخر القرن العاشر حتى اضطروا أن يقبلوا احتلال العثمانيين لبعض أراضيهم وقد تمثل ضعف الصفويين فى الرسائل التى تبودلت بين الدولتين ونورد على سبيل المثال جانباً من رسالة الشاه محمد خدابنده إلى السلطان مراد الثالث العثمانى يوضح بجلاء ضعف الصفويين أمام العثمانيين حيث يقول : « وقد كان المتوقع من جلالة الملك العظيم بعد إرسال تلك الرسالة أن يهتم بالرد الطيب وأن يبـــذل الجهد الملكى لإصلاح ذات البين ويدعم سلسلة المحبة والاتحاد ويثبتها بأوتاد الملاطفة والوداد ويأمر بتجديد العهود والمواثيق السابقة إلا أننا سمعنا فى هذه الأثناء أن والى الحدود قد حبس ولى بيك المذكور دون أمر وإرادة السلطان

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٤

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨٤

العظيم مع أن حاملى الرسائل فى شرع الملوك والسلاطين آمنون من الأذى وفى نفس الوقت دخل الجنود إلى حدود البلاد الموروثة لهذا المحب الصادق الوداد وأعلوا نار الفتنة والفساد وقاموا بالقتل والظلم وأسر أهل المسلمين وعيالهم وطردوا العجزة والمساكين من ديارهم وهتك أعراضهم وسفك دمائهم وحاشا لعدالة ومروءة وإنصاف ذلك السلطان حامى الإسلام أن يكون عدة آلاف مسلم من أهل القبلة القائلين بكلمة التوحيـــد الإلهى والشاهدين برسول الله والمطيعين لأحـكام الإيمان فى الأصول والفروع والذين ينبغى أن يكون دماؤهم وأموالهم محفوظة ومصونة بحكم قول الرسول عليه السلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله أن يـكونوا هـدفا لسهام المحنة والبلاء وعرضة لشماتة الـكفرة وأعداء الدين فى عهد حكـكم الميمون وأيام دولتـكم الخالدة(١) .

---

(٢) وبعد از ارسال آن مراسله توقع ازآن اعليحضرت گردون بسطت چنان بود که بجواب مستطاب التفات فرموده توجه خاقانى باصلاح ذات البين مصروف داشته سلسلهٔ محبت واتحاد رابا وتاد ملاطفت ووداد مثبت ومستحکم ساخته تجديد عهود ومواثيق سابقه بفرمايند درآن اثناچنين مسموع شدکه پاشاى سرحد ولى بيك مذکوررا بى امر وفرمان قضا جريان خاقان سليمان شان سکندر نشان محبوس کرده با انکه :

در آيين شاهان ورسم کيان
پيام آوران ايمنـــد از زيان

ومقارن آن حال لشـکرها بحدود ممالك موروث اين محب صادق الوداد در آمده آتش فتنه وفساد بالا گرفته بقتل وبيداد واسر اهل وعيال مسلمانان وجلاء عجزه ومساکين از اوطان وهتك اعراض وسفك دماء ايشان اقدام

. . . .

نمودند حاشا از عدالت ومروت ونصفت آن پادشاه اسلام پناه ظل الله که درزمان جلوس میمون وایام دولت روز افزون چندین هزار مسلمان أهل قبله که قائل بکلمه توحید الهی وشهادت نبوت حضرت رسالت پناهی بوده احکام ایمان را از اصول وفروع مطیع ومنقاد باشند وبحکم امرت أن أقاتل الناس حتی یقولوا لا إله إلا الله دماء واموال ایشان مصون ومحفوظ باشد هدف سهام محنت وبلا گشته وموجب شماتت کفره واعدای دین شود . [اسناد نامه های تاریخی ص ۲۲۲ - ۲۲۸].

الصراع المذهبي بين الصفويين والعثمانيين

ينتسب الشيخ صفي الدين الذى سميت الدولة الصفوية باسمه إلى أردبيل التى كانت مسقط رأسه ثم كانت مآبه بعد أن زار شيراز والتقى بسعدى الشيرازى ثم جيلان حيث أخذ الطريقة عن الشيخ إبراهيم زاهد الجيلانى وعلى أرض أردبيل توفى وفيها دفن وهناك تسلم ولده سيد صدر الدين الطريقة من بعده وقد صارت بعد ذلك مركز الدعوة للطريقة الصفوية مما جعل الصفويون يطلقون عليها دار الإرشاد .

لذلك فإن أردبيل من المدن التى كان لها دور كبير فى تاريخ الصفويين فإذا علمنا أن سكان أردبيل كانوا فى معظمهم أتراك الأصل كان من الطبيعى أن يكون كبار رجال الدعوة الصفوية من الأتراك . وتؤيد المصادر هذا الأمر فيقول صاحب عالم آراى صفوى خلال روايته عن خروج الشاه اسماعيل ليعلن دعوته : « إن درويشا من مدينة القسطنطينية يدعى دده محمد كان من مريدى حاجى بكتاش الصوفى المعروف وكان لدده محمد مريدون كثيرون من بينهم درويش أراد أن يذهب إلى مكة للحج فأذن له شيخه وكلفه أن يعرج على العتبات المقدسة فى العراق عند عودته من مكة وبعدها يذهب إلى تبريز ويبلغ سلامه إلى ملكها فإذا به عند عودته من مكة يصادف فارسا عربيا يقوده إلى بلاط صاحب الزمان فيشاهد هناك إبلاغ الشاه اسماعيل بالخروج ومراسم تتويجه وتسليمه سيف الفتح والظفر مما جعل هذا الرجل يصبح من أتباع الشاه اسماعيل[١] .

---

(١) عالم آراى صفوى ص ٤٥ - ٤٧

وهذه الرواية على مافيها من خيال يتعلق بالرؤية العيانية لصاحب الزمان وبلاطه إلا أنها تشير إلى صلة الشاه اسماعيل الأول بالأتراك .

ولعل من الأمور التى حركت العثمانيين وجعلتهم يفكرون كثيراً فى أمر الصفويين هو تحرك الشاه اسماعيل بجيشه من القزلباش للاستيلاء على بغداد ومقابر الأئمة وقد استطاع هذا الجيش هزيمة بارك سلطان حاكم قلعة بغداد الذى هرب إلى كنف العثمانيين فتعقبه جيش اسماعيل وتمكن من القبض عليه وقتله ، ثم توجه اسماعيل إلى النجف وزار ضريح الإمام على وعمره بستائر الحرير الموشاة والسجاد والقناديل الذهبية وأنفق عليه ثلاثين ألف تومان من ماله ثم توجه إلى كربلاء حيث زار ضريح الإمام الحسين وفعل به مافعل بضريح الإمام على ثم توجه لزيارة صاحب الأمر ثم الكاظميين حيث زار ضريح الإمام موسى الكاظم ثم عاد من بغـــداد إلى سامره فى العراق[١] .

وفى السنة السابعة من حكم الشاه اسماعيل زار بغداد مرة أخرى وقام بإخراج عظام الإمام أبى حنيفة النعمان من قبره وأحرقها ودفن بدلا منها كلباً .

وعندما وصل الخبر إلى السلطان بايزيد جمع علماء البلاد وأثاروا ضجة كبيرة وقالوا لقد ضاع الإسلام وفعل شيخ اوغلى (اسماعيل) هذا الظلم بالمسلمين فإذا لم نقم بالرد على هذا العمل القبيح وتلافيه فإن الإمام الأعظم أبا حنيفة سوف يكون فى ضيق وألم منا ومن السلطان[٢] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٧-١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٧ - ٤٧٨

لكن السلطان بايزيد لم يقم بدور إيجابى إزاء هذا الأمر ولكن ما إن تولى السلطان سليم الحكم حتى أرسل مع قاضى حاجى رسالة إلى الشاه اسماعيل يلومه فيها على إخراج عظام أبى حنيفة وحرقها يقول فيها : « ماذا كان هذا العمل القبيح الذى صدر منك ؟ فلا تسب الخلفاء الثلاثة لأنه كان لهم فى حياتهم شرف ملازمة حضرة الرسول صلى الله عليه وآله لذلك هذا ما يعرفه كل العالم وكذلك فإنهم يسكنون فى جوار القبر المبارك لنور العالم وعظيمه فلماذا تنسبون إلى عظماء الدين والدنيا أولئك الكفر والزندقة . . وكذلك فان المذهب الذى وضعتموه تاريخه مذهب الباطل فكيف يمكنكم عمل هذا ؟(١) » .

وقد جمع الشاه اسماعيل العلماء من كبار الشيعة وعلى رأسهم الشيخ على عرب جبلى عاملى وشاورهم فى هذه الرساله فقالوا إن الرد على هذه الرسالة أمر سهل وبسيط فلنعقد جلسة مع القاضى العثمانى خليـــل چلبى الذى حمل الرسالة ونتباحث معه فى المسائل التى وردت فيها ، لذلك فقد عقد الشاه إسماعيل فى اليوم التالى مجلسا حضره القاضى خليل چلبى السفير العثمانى

---

(١) اين چه عمل قبيح بودكه از شما سرزده است ؟ وديگر سب خلفاى ثلاث مكنيد كه ايشان در زندگى شرف ملازمت حضرت رسالت پناه صلى الله عليه وآله داشته اند . وهذا كل عالم ميدانند وديگر انكه در جوار قبر مبارك آن انور سرور عالم مسكن دارند نسبت بآن سروران دين ودنيا چرا كفر وزندقه ميكنيد وديگر مذهبى كه شما وضع نموده ايدكه مذهب ناحق تاريخ آن دست اين راچون مى توايند ساخت » . المصدر السابق ص ٤٧٨

بالإضافة إلى علماء الدين والشيعة وفيهم شيخ على عرب وقاض زاده لاهيجى ومير شمس الدين ومير سيد شريف وطلب الشاه من القاضى طرح المسائل الواردة فى الرسالة للمناقشة فأجاب قاض زاده لاهيجى على المسألة المتعلقة بحرق عظام الإمام أبى حنيفة النعمان ودفن كلب مكانه فقال : « إن ما نعتقده أن أبا حنيفة لم يكن سيداً [أى ينتسب إلى آل الرسول] ولا إبنا لإمام (أى لا ينتسب إلى أئمة الشيعة) ولا حسب له ولا نسب ولما كنا نعتبر كلبه المدفون معه أفضل منه بحيث لايليق أن يكون له عند أهل السنة مزار لذلك أخرجناه وحرقناه وأحضرنا كلبا لأحد الشيعة ووضعناه مكانه ، فانه كان إماما بحق فليلحق بنا وبأهلنا الضرر وإن كان من أهل الباطن فمن السهل أن تسأله ذلك ، وقد أجاب شيخ آخر على المسألة المتعلقة بأن تاريخ المذهب الشيعى يقابل كلمة مذهب الباطل فقال : « إنكم تعلمون تاريخ حضرات الأئمة المعصومين وحقيقة مذهبهم ولو كان عندكم قدر من الإنصاف لأتبعتم مذهبهم وعملتم به فـــا مذهبنا كما قلتم بمذهب باطل بل مذهب حق ولو تعلمتوه لأدركتم ما يكون فى ظاهرنا وباطننا » . فلما سمع قاضى چلبى هذا الكلام امتقع لونه وأطرق برأسه خجلا ، فقال الشاه اسماعيل : هل رأيت حقيقة مذهبنا ، وقال قاضى زاده : « أما فيما يتعلق بأنكم تتبعون مذهب السنة والجماعة وأن الإجماع أمر جوهرى فى الإسلام فاننا ننفذ الأمر الربانى بطاعة الله والرسول وأولى الأمر وهم الأئمـــة المعصومين ومن يحكم بمذهبهم [1] » .

ومن الأمور التى تدل على مدى فهم كل من الطرفين لمذهب الآخر

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨٠ ، ٤٨٢ .

ومدى استقراره فى نفوس أتباعه ما روى من أنه عندما دخل السلطان سليم تبريزوذهب إلى مسجد حسن باشاده واستدعى خطيب المسجد الذى كان من القزلباش حتى يخطب باسم الخلفاء الراشدين الأربعة حضر إلى المسجد أهالى تبريز وأمراء العثمانيين ولكن الخطيب قرأ الخطبة باسم الشاه اسماعيل وذكر السلطان سليم فلما أراد العثمانيين أن يؤذوه منعهم السلطان سليم وقال لا تؤذوه لأنه تعود ذكر هذا الاسم فصدر عن لسانه دون أن يشعر[1] .

كذلك فانه عندما ذهب السلطان سليم إلى ديار بكر وحاصر قلعتها طلب من قراخان حاكم القلعة التسليم فى مقابل أن يجعله حاكما على هذه النواحى فرد قراخان الرسول قائلا له : « اذهب وقل للقيصر ألم يخطر ببالك أنى خادم الشاه اسماعيل العظيم وإنى صوفى وعبد لهذا المصباح ولا يمكن قط للصوفى والمريد أن يحول وجهه عن مرشده الكامل ويتحول عن شيخه كذلك فإننا أبا عن جد عبيد لمصباح حضرة أمير المؤمنين وأمام المتقين على بن أبى طالب عليه السلام ومرشدنا هو حضرة الشيخ صفى وأولاده المصطفين[2] » .

ولقد كانت الرسائل المتبادلة بين الصفويين والعثمانيين تشير إلى مدى

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠٢ .

(٢) برو وبه قيصر بگوكه بخاطرت نرسدكه مانوكر شاه اسماعيل بهادر هستيم ، ما صوفى وبنده اين اوجاقيم وهرگز صوفى ومريدراز مرشد كامل خود روى گردان نمى توان ساخت واز آقاى خود ذور گردانيد وديگر انكه ماپشت غلام وبندهٔ اوجاق حضرت امير المؤمنين وامام المتقين على بن ابى طالب عليه السلام هستيم ومرشد ما حضرت شيخ صفى است با او لاير گزيدهٔ او . » المصدر السابق ص ٥١٦ .

اعتزاز بمذهبه وحبه له واعتقاده فيه بل ويحاول أن يسفه من مذهب الآخر ويبين أفضلية مذهبه ويدعوه إلى اتباعه والدخول فى طاعته وترك مذهبه، فقد كتب السلطان سليم الأول العثمانى رسالة بالفارسية إلى الشاه اسماعيل الصفوى يدعوه إلى ترك المذهب الشيعى واتباع السنة والجماعة، يقول فيها: « بموجب الدين النصيحة فإنك إن وليت وجه الضراعة إلى قبلة إقبالنا وكعبة آمالنا وعتبة عش ملائكتنا التى هى محل رحال الرجال، وقصرت يد التعدى عن أتباعنا الذين صاروا تحت وطأة الظلم والطغيان وسلكت نفسك فى سلك التائب من الذنب كمن لا ذنب له، واتبعت مذهب وملة السنة السنية الحنفية لمحمد عليه الصلاة والتحية وآله الطاهرين وأصحابه المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين بحكم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم واعتبرت هذه البلاد بأسرها من توابع ومتعلقات الممالك المحروسة العثمانية فإن كل لون للعناية الملكية والعاطفة الشاهنشاهية سوف تشمل حالك. نظم:

سنلقى ظل العدل والعناية على رأس كل من يضع وجهه على تراب بابنا كالختم[1].

(١) بموجب الدين النصيحة اكر روى نياز بقبلهٔ اقبال وكعبهٔ آمال آستان ملايك آشيان ماكه محل رحال رجالست آوردى ودست تعدى از سرزير دستان كه پايمال ظلم وطغيان گشته اند كوتاه كردى وخودرا درسلك التائب من الذنب كمن لا ذنب له متسلك گرداندى ودر مذهب وملت تبعيت سنت سنيهٔ حنفيهٔ محمديه عليه الصلوة والتحية وآله الطاهرين وأصحابه المهتدين رضوان الله عليهم اجمعين كه اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم كردى

وقد رد عليه الشاه اسماعيل الصفوى برسالة قال فيها: « لما كانت مضامين تلك الرسالة تشعر بالعداوة وتنبنى على الجرأة والجلادة فقد اتضح منها الكثير لكننا ندرك ما بدايتها وما سببها ! ... إن غرضنا من التغافل عنكم شيئان الأول أن أكثر سكان هذه البلاد مريدو أجدادنا الكرام رحمهم الله الملك الغفار والثانى أن محبتنا لتلك الأسرة المجاهدة أزلى ولم نكن نريد أن تحدث فتنة فى تلك الديار مثل عهد تيمور ولا نريد ذلك للان ولم نتأذ كثيراً ولماذا نتأذى فخصام السلاطين عادة قديمة : بيت :

إن من يحتضن عروس الملك بشدة يقبل حدا لسيف البتار .

إن أن الكلمات البذيئة لا لزوم لها وكذلك إرسال تلك الأقوال التى من أفكار الإلحاد للكتاب والمحررين المخدرين الذين كتبوها من قلة الفطرة ومن عقل جاف وأظن أن توقف كل هـــذا أيضاً لا يخلو من الضرورة[1] .

وآن بلا درابا سرها مضافات ومتعلقات ممالك محروسة عثمانية شمردى هر آنية عنايت پادشاهى وعاطفت شاهنشاهى ماشامل حال توكردد . نظم :

سايه عدل وعنايت بسراو فكنيم : هركه چون مهر نهد روى بخاك درما .

[اسناد نامه هاى تاريخى ص ١١٣ — ١١٤

(١) مضامين آن چون شعر بعداوت ومبنى از جرأت وجلادت بود از آن خط بسيار نمود لكن مبدأ ومنشأ آن ندا لستقيم كه چيست ؟ . . . غرض ما از تغافل آن صوب دوچيز بوديكى انكه اكثر سكنه آن ديار مريدان اجداد عالى تبار ما اند رحمهم الله الملك الغفار دوم انكه محبت مابآن خاندان غزا عنوان قديمست ونمي خواستيم شورش چون عهد تيمور بآن

ولقد كانت الناحية المذهبية أداة يستخدمها الأمراء الفارون من أقاربهم الملوك ليستدروا عطف أعدائهم ويكسبوهم إلى صفهم ، فهذا الأمير مراد بن أخى السلطان سليم الأول العثمانى عندما فر من عمه أرسل يطلب العون والمساعدة من الشاه إسماعيل مؤكداً له أن والده كان من مريدى الشيخ صفى المخلصين فخف الشاه اسماعيل لنجدته وأرسل قائده نور على خليفة ارملو على رأس جيش استطاع بمساعدته أن يقتل رستم باشا قائد الجيش العثمانى مردداً قوله : « ياعلى ولى الله » ، وعندما وصل الأمير مراد إلى إيران بعد هزيمته من جيش عمه السلطان سليم استقبله الشاه اسماعيل استقبالا حافلا وخلع عليه التاج الحيدرى وألبسه مبسملا ثم ألبسه حزام الفتوة الصفوية ووعده أن يتوجه فى الربيع لمحاربة السلطان سليم[1] » .

وقد استمرت الرسائل التى تحمل طابع الدعوة المذهبية بين الشاه طهماسب الأول الصفوى وبين السلطان سليم القانونى العثمانى يدعو فيها كل منهما الآخر إلى الدخول فى مذهبه ويبين له أحقية هذا المذهب على غيره

سرزمين كارى شود وهنوزنمى خواهيم ربابن قدرعاتمى رنجيم وچرا بر نجيم خصومت سلاطين رسم قديميست : بيت :

عروس ملك كسى در كنار گير وتنگ
كه بوسه بر لب شمشير آبدار دهد

أما كلمات نا مناسب وجهى ندارد وهمانا آن اقوال از افكار الحاد تمكار منشيات برش ومحرران ترياكى كه از قلت نشئه او سر دماغ خشكى نوشته فرستادند واين همه توقف نيزخالى از ضرورتى نبوده مى دانيم .

المصدر السابق ص ١١٥ .

(١) عالم آراى صفوى ص ٢٦٠ — ٤٦١

ويسفه فى المذهب الآخر ويوبخ متبعه ويهدد الآخر ويتوعده ويمنيه إذا قبل هذا الأمر وهذه رسالة من الشاه طهماسب إلى السلطان سليمان يدعوه إلى المذهب الشيعى ويبين أفضليته على المذهب السنى ، يقول فيها : « ينبغى أن تطالع ردى على رسالتك السيئة وتجتهد فى أداء واجبات العبودية لله جل وعلا وتترك الجهل والباطل والعداء وتتبع الشريعة النبوية وتقبل العبودية فى الطريق المرتضى وتنزع من رأسك التكبر والتجبر ولا تفضح نفسك بين أهل العالم وتختار طريقة أهل الإسلام وتترك التعصب وتقلع عن العناد حتى تحظى بشفاعة الأئمـــــة المعصومين وتوفق وتسعد والسلام على من اتبع الهدى[1] » .

ولقد أرسل السلطان سليمان القانونى رسالة إلى الشاه طهماسب يبين له أنه يتبع مذهب الحق ويرعى قوانين الشريعة الإسلامية ويقتفى آثار الصحابة الكرام والتابعين فهو يحرم تداول وتعاطى الخمر ويمنع اللهو والهوس والمجون والفجور ويدعو للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

حيث يقول : « إن تنفيذ الشريعة الغراء وإحياء عالم الملة الحنيفة البيضاء مطلب أعلى ومقصد أقصى وإن اقتفاء آثار الصحابة الكرام والتابعين واتباع أطوار أئمة الدين والهداة المهتدين هو سبب تحقيق سعادة الدارين

---

(١) بايدكه جواب مكتوب نامرغوب خودرا مطالعه نمائىودر وظايف بندكى حضرت خداوندى جل وعلا كوشيده ترك جهالت وبطالت وعداوت نمائى ومتابعت شريعت نبوى وطريق مرتضوى را واسطه قبول عبوديت سازى وتجبر وتكبيراز سرنهى وتعصب نموده عناد را بكذارى تا از شفاعت آئمه معصومين بهره مند وكا مياب كردى وسعادت دريابى والسلام على من اتبع الهدى : » [شاه طهماسب ص ٢٣٧

الأولى والآخرة وهو فى الشرع والعقل أفضل وأولى .. لا جرم أن من شمات بنت العنب التطاول فقد رفعت يد أبناء الزمان عنها ومنعتهم عن تداولها وتعاطيها وزجرتهم وردعتهم عنها بحكم أنه من شرب منه فليس منى[1] .

ولقد كانت مثل هذه الرسائل المذهبية المتبادلة عظيمة الأثر وكبيرة الفائدة فهى وإن لم تحدث تأثيراً مباشراً على أى من حكام الدولتين فى أن يقبل أحدهما مذهب الآخر ويدخل فيه أو يقلل من تعصبه أو يتسامح إزاءه إلا أنها أدت إلى تغيير أسلوب الدعوة حيث توقف العنف والتعنت والقسوة كما توقفت إسالة الدماء فى سبيل نشر المذهب ووقف انتشاراً لمذهب الآخر وأصبح أسلوب الدعوة المذهبية يعتمد على الحكمة والإقناع والموعظة الحسنة وإعلان أن منطق لعن الخلفاء والصحابة هو منطق العامة وليس بمنطق العلماء ولا بواجب فى المذهب وكذلك الحكم بقتل أهل المذهب الآخر ، وتجلى هذا فى رسائل علماء الدين فى كلا المذهبين لبعضهم البعض ويمكننا هنا أن نورد نصا لأحد علماء المذهب الشيعى فى بلاط الشاه عباس الأول وهو محمد مشكاة رستمدارى من رسالة كتبها فى أوائل عهد عباس الأول يقول فيها : «على أى حال فإن مزاج الملوك كالنار ويليق بالعلماء الكرام أن يسكنوا

---

(١) لابد اجراء قوانين شريعت غرا واحياء معالم ملت حنيفه بيضا مطلب أعلى ومقصد اقصى واقتفاء آثار صحابه كرام وتابعين واتباع اطوار ائمة دين وهداه مهتدين سبب جمع نشاتين اخرى وأولى وشرعا وعقلا أفضل واولى در .. لا جرم ابناء زمانك سيم سيماى بنت العنب دن دست تطاولى رفع وآم الخبائث تعاطى وتناولدن منع اولنوب فن شرب منه فليس منى مضمونى اوزره زجر وردع او لنديلر . » (منشآت فريدون بيك ج٢ ص ١١ — ١٣] .

إلتهاب تلك النار بزلال الموعظة الحسنة حتى لا يحترق خامه الله لا أن يشعلوا تلك النار بريح الفتنة ويحرقون أصول وفروع أعضاء الآمال والأعمار لعباد الله ويلقونها فى تراب المذلة : شعر : لا تكن مثل النار حاداً ولا تتمرد لأن الدخان يتصاعد من القلب المصاب . فلو سلكتم طريق أتقياء السلف وراعيتم الحذر سيكون ذلك هو الأصلح(١) .

---

(١) على أى حال مزاج پادشاهان همچون آتش است ولايق علماى كرام آنست كه بزلال موعظه حسنه تسكين التهاب آن آتش فرمانيد . تاخلق الله نسوزند نه آنكه ببا دفتنه آن آتش مشتعل سازند واصل وفرع نهال اعمار وآمال بندگان خدارا سوخته بخاك مذلت اندازند :

چو آتش مشو تند وسركشى مبادا

كه دود ازدل مبتلائى بر آيد

پس اگر طريق اتقياء سلف را مسلوك داشته احتيــاط مرعى دارند ظاهرا اصلح خواهد بود » .

[اسناد نامه هاى تاريخي ص ٢٤٩] .

المبحث الثانى

ديوان السلطان سليم العثمانى
بالفارسية

المعانى الذاتية فى الديوان : —

ليس هناك خلاف بين المصادر على أن السلطان سليم الأول العثمانى قد نظم شعراً باللغة الفارسية ، وأنه كان يتخلص فى شعره بلقب سليم أو سليمى وأن هذا الشعر قد جمع فى ديوان ، وأقدم مخطوط لدينا لهذا الديوان كتب سنة ١١٣١ هـ (١٧١٩ م) بخط نسخ واضح وغير معروف كاتبه ، ويوجد فى مكتبة زهدى بيك فى استانبول وقد أعيد نسخه عدة مرات بين الزيادة والنقصان إلى أن قام المستشرق الألمانى مسيو هوارت بتحقيقه ، كما أمر ويلهلم الثانى امبراطور ألمانيا وملك بروسيا المستشرق التروسى باول هورن أستاذ اللغات الشرقية بدار الفنون بمدينة استراسبورج باختيار ديوان من بين النسخ السبع الموجودة للديوان فقام بذلك وطبعها بمطبعة برلين سنة ١٣٢٣هـ ١٩٠٤م وتم اهداؤها إلى السلطان عبد الحميد الثانى العثمانى وهى موجودة الآن فى متحف جامعة استانبول بتركيا ، كما كانت الدولة العثمانية نفسها قد كلفت الأستاذ حسين حسنى مدير البلدية فى استانبول بتحقيق الديوان وطبعه فتم طبعه سنة ١٠٣٦ هـ - ١٨٨٨ م باستانبـــول . ويحتوى ديوان السلطان سليم على قصائد وغزليات وقطعات إلا أن الغزليات تحتل الجانب الأكبر منه وتمثل خلاصة فكر السلطان سليم وفنه الشعرى .

والدارس لديوان السلطان سليم يدرك أن شعره من نوع أدب الوجدان والتعبير عن النفس أو الذات حيث طغى إحساس الشاعر بذاته على كل معانى الديوان وموضوعاته مما جعل الموضوعات التقليدية تختفى من الديوان حيث يلاحظ الدارس أنه لا وجود لشعر قيل فى مناسبة اجتماعية

أو دينية أو سياسية أو عسكرية أو غير ذلك من المناسبات ، ولعل السلطان سليم قد ترفع عن أن يضمن شعره موضوعا من تلك الموضوعات التى ينظم فيها الشعراء من أجل حاجة أو مسألة أو لإبراز قدراتهم على نظم الشعر على البديهة أو تجاوبهم مع المناسبات والأحداث والظروف التى تمر بهم ، وهذا طبيعى بالنسبة لسلطان عظيم حقق كثيراً من الأمجاد والبطولات والأعمال الخارقة للعادة والتى تجعل له تاريخا حافلا فلا حاجة له بهذا النوع من الشعر ، فإذا أراد أن ينظم فجدير به أن ينظم ما يشعر به من أحاسيس ومشاعر وعواطف وانفعالات . لذلك يدرك الدارس لديوان سليم أن ملامح شخصية السلطان العثمانى واضحة فى أشعاره بكل جوانبها الظاهرة والباطنة ، فلقد كان سليم رغم مسحة التواضع التى حاول أن يضيفها على شخصية صادقة مع نفسه كل الصدق معبراً بأمانة عن كل ما يجول فى خاطره وما يشعر به من أحاسيس مما يعطى الديوان أهمية كبيرة من هذه الناحية بالإضافة إلى أهميته الأدبية ، فقد حاول سليم ما وسعه الجهد أن يعبر عن عظمته الشخصية فى جوانب كثيرة من الديوان حيث نجده يقول : « لقد أسعدت نخل الفلك فى ظلى وكل مبدع للصناعة إنما يعمل فى مزرعتى(١) » . ويقول : « إستمع ياسليم إلى الحديث الذى على عرش الوجود فإن هذه الضجة فى الآفاق نتيجة عملنا(٢) » . ويقول : « إن مفرق الشمس الذى

---

(١) كرده در سايهٔ ما نخل فلك را خرم
صانع صنع كه مى بود بدهقانى ما
[الديوان ص ١٨]

(٢) اى سليمى بسخن گوش كه برتخت وجود
گفت وگو نيست در آفاق همه حاصل ما
[ص ١٥]

صار القمر صولجانه الذهبي يليق به أن يكون عبداً لحراستنا[1] » . وهذه العظمة ليست من قبيل الصدفة أو هى منحة إلهية لا يستحقها إنما هى حق مكتسب نتيجة لتحليه بمجموعة من الصفات العملية والسلوك الممارس والأصالة الحقيقية فهو كثيراً ما يباهى بشجاعته وإقدامه فنراه يقول : « لو أن جيش العدو قد ملأ السهل والجبل فبالله لا أولى وجهى عن المعركة ، فأزيل ظلام الكفر من العالم كالشمس عندما أخرج صبح سيفى من الغلاف ، ولو يزأر الهزبر فى المعركة من كبدة أخيط قلبه بنصل سهم فاصل للروح ، ولو يرفع مدعى رأسه وقت القتال لعلم أن حديث الرجال ليس على سبيل التباهى ، وسواء كان للحسود حقد ياسليم أم لا فإن لنا سيفاً صافياً كالمرآة[2] » . ويقول : « لو أن الدنيا تمطر البلاء على رأسى كعينك الدامية لا أكون

---

(١) ترك خورشيد كه چوكان زرش ماه شده
هست لايق كه بود بنده دربانى ما
[ص ١٨]

(٢) گر لشكر عدو بود ازقاف تا بقاف
بالله كه هيچ روى نمى تابم از مصاف
چون آفتاب ظلمت كفر از جهان برم
گاهى كه صبح تيغ برون آرم از غلاف
گرنعره بركشدز جگر شيرنر بجنگ
دوزم دلش بسوزن پيكان جان شكاف
گرو برشود بكه زرى مدعى
داندكه نيست دعوى مردان زروى لاف
دارد حسود كين سليمى وگرنه هست
مارا بمثل آيينه تيغ سينه صاف .
[ص ٦٥]

سليمى لو أحذر مثل النملة[١] » . كما تباهى بكرمة وأريحته وبذله وعطائه لا على البشر وحدهم بل على كل الكائنات ، بقول : « حبذا لو يأتى الناس أيضاً إلى ضيافتنا على مائدة عشقك ياسليمى فعليها الفلك وجميع العالم[٢] » .

وهذه العظمة لم تتأتى له إلا بتحليه بالصبر والثبات وتحمل المشقة والمعاناة والمكابدة والمصانعة والتضحية بالنفس ، وهذه المعانى واضحة فى كل ديوانه ومن أمثلتها قوله : « يمكن غلق الشفاه عن الصياح والألم أمام الناس ولكن لا يمكن منع العين الباكية دما[٣] » . ويقول : « أنا ملك ممالك الألم وملجأ البلاء وحزنى الذى لا حد له ولا نهاية هو جيشى[٤] » . ويقول: « لو أنك سقطت ياسليم من وادى الحزن إلى عرش الملك فأى ألم لك فهذا

---

(١) اگرچون چشم خونريزت بلا باردجهان برمن
سليمى نيستم گر يكسر موربر حذر باشم
[ص ٧٣]

(٢) خوان عشقت سليمى فلك وجمله جهان
كاش آيند هم خلق مهمانى ما
[ص ١٨]

(٣) پيش مردم لب توان بستن ز فرياد وفغان
منع نتوان كرد ليكن ديدهٔ خونبار را
[ص ١٨]

(٤) شه ممالك دردم بلا پناه منست
غمم كه بيحد وپايان بود سپاه منست
[ص ٣٨]

قدر الله من الأزل[1] » . ويقول : « حتى متى أقاسى المنة حينا من القلب وحينا من الروح والحمد لله أن تخلصت الروح من محنتى وفرغ القلب أيضاً من الروح[2] » ويقول : « لم أكن خائفا من جهنم ولا من ألم الموت فهما كل هذه الحرقة والحزن والمحنة التى أقاسيها[3] » .

ولعل شكوى السلطان سليم وتألمه له مايبرره فقد قاسى قلة العطف وسوء المعاملة وقسوة أبيه وأسرته وأقاربه عليه فى عهد الطفولة والصبى وفترة من شبابه على أن هذا لم يفقده الأصالة فظل يتغنى بها فى شعره ويباهى بها الناس ، يقول : « كثيراً ما وصف الصراف در جوهرى وضحك قائلا ليس هناك أفضل من جوهرى[4] » . ويقول : « لو أنه ليس للحبيب نظير

---

(١) سليم از وادى غم گر بتخت شاهى افتادى
چه رنجى از ازل اين نوع تقدير خدا بودست
[ص ٣٩]

(٢) گه از دل گه زجان تا كى كشم منت بحمد الله
كه جان از محنت من رست ودل هم شد زجان فارغ
[ص ٦٤]

(٣) نى ز دوزخ بودم بيم نه از مرگ الم
اين همة سوختگى وغم وعجب كة مر است
[ص ٣٤]

(٤) صراف بسى وصف در گوهر خود كرد
خنديد كة بهتر نبود از گهر من
[ص ٨٣]

أيضاً فى ملك العشق(١) » . أما فخره بقوته العسكرية فهذه مسألة طبيعية فى شعره ولا ينازعه فيها أحـــد ، يقول : « يضع الفلك فى أذنه قطن الأفق لو يسمع صياحنا وصفيرنا فى الصباح(٢) » . ويقول : « لقد كان خطاف الهلال وقصاص السماء يوم القضاء فى معركتنا الحامية(٣) » . ويقول: « لقد استولينا على بلاد الدهر بسهولة بالهمة ولو أن بساطتنا تبدو لك صعبة(٤) » . بل لقد نظم غزليات كاملة يباهى فيها بتفوقه العسكرى ويعدد فيها ما استولى عليه من بلاد وأقاليم وما أخضع من حكام وملوك منها تلك الغزلية التى يقول فيها : « سقت الجيش من عرش استانبول إلى إيران وجعلت القزلباش غرقى دم الملامة ، ولقد صار والى مصر غلام همتى بقلبه وروحه حتى زفعت لواء الملك على الأفلاك القسمة ، عندما عزفت فى حفل الطرب على عود النصر حملت البشرى من أهل العراق إلى الحجاز ، لقد غرق ما وراء

(١) در حسن اگرچه يار ندارد نظير خويش
در ملك عشق نيز نبـــاشد نظير ما
[ص ١٦]

(٢) گردون بگوش خويش كند پنبهٔ افق
گر بشنود بصبح فغان وصفـــير ما
[ص ١٧]

(٣) قلاب ماه نو بود وداه آسمان
روز قضا بمعركة دار وگير ما
[ص ١٦]

(٤) كشور دهر گرفتيم بهمت آسان
گرچه دشوار نمايد بتو آسانى ما
[ص ١٨]

النهر فى الدم من سيفى وجعلت عين العدو كالكحل الأصفهانى ، عندما أردت شطرنج الحكم على بساط الملك صار ملك الهند فيلا ميتا من جيشى الماهر[١] » . ومن أفضل غزلياته فى هذا الموضوع تلك التى يقـــول فيها :

« أخذت الخراج فى ملك العشق من الشرق والغرب فأنا ملك جيش الوجد ولا أخاف من الأرغوان ، وصلت دولتى من كرم العشق إلى درجة أن همتى تأخذ الخراج من الأقاليم السبعة ، كيف أفكر فى عرش دنيا الفناء ولى نصيب فى عرش الفتح وتاج النصر ، إن جيشى من جوهر بحر السيف فلست محتاجا لأى شخص بهمتى العالية ، لا يعجبنى كلام الأمير أو الوزير لو أنه يتحدث جيدا عن الخراج بالحيلة[٢] » .

---

(١) لشكر از تخت ستانبول سوى ايران تاختم
سرخ سر را غرقهٔ خون ملامت ساختم
شد غلام همتم ازجان ودل والى مصر
تالواى خسروى ازنه فلك افراختم
كردنداز اهل عراق اين مژده آهنگ حجار
چنگ نصرت را چو دريزم طرب نواختم
ما وراء النهر از تيغم شده غرقاب خون
چشم دشمن را چو كحل اصفهانى ساختم
شاه هنداز لشكر فرزانه ام شدبيل مات
بر بساط ملك چون شطرنج دولت باختم
[ص ٧٩]

(٢) بملك عشق گرفتم ز شرق وغرب خراج
شه سپاه غمم نيست باكم از ليلاج

وهو بالإضافة إلى هذه المزايا التى يتميز بها عن سائر الخلق له أيضاً من الصفات الطيبة والأخلاق الحميدة والسبق إلى المكارم ما يجعله يفاخر بها فى شعره ، يقول : « لم يتأتى لى الحسد على أى شىء ولكننى أغار لأن عادة العشق كانت فى العالم قبلى[1] » . ويقول : « لو يقول حاسد مائة كلمة كاذبة فى غيبتى فإننى لا أبادله هذا النوع السىء من القول[2] » . ويقول : « إن سلميا هو جبل البلاء والحسود هو زجاج الحرص ومن المسلم موقع الزجاج

رسيده از كرم عشق دولتم جايى
كه همتم ز اقاليم سبعه كيرد باج
براى تخت جهان فساچه فكر كنم
مرا كه بخت بود تخت فتح ونصرت تاج
بود ز كوهر درياى تيغ لشكر من
نيم بهمت عالى بهيچ كسى محتاج
نه آيدم سخن ميريا وزير پسند
ز حيله كرچه نكو حرف ميزند بخراج
[ص ٤٣]

(٣) مرا نآمد حسد برهيچ چيزى ليك بردم رشك
كه رسم عشق پيش از من درين عالم چرا بودست
[ص ٣٩]

(٤) حاسدي در عيبتم صد حرف اكر كويد دروغ
من نخواهم كرد با آن نوع بد گفتار بحث
[ص ٤١]

أمام الجبل[1] » . ويقول : « فى الليلة التى يمطر السحاب الأسود نار البلاء لـكان علامة الحظ لمهدى وزماني[2] » .

ومن الطبيعى أن تـكون كل هذه الأساليب مبعث تـكبر السلطان سليم ، وقد عبر عن تـكبره فى مواضع عـــديدة من الديوان منها قوله : «الأفلاك غير جديرة بعرشنا وسريرنا فحصير واحد لنا يغطى قد الأفلاك[3] » ويقول : « يكفيك الدلال ياحبيبى فإن ملوك الزمان بعد العتاب والغضب يتلطفون أحيانا[4] » .

ليس التـكبر وحده هو مايبدو فى شعر سليم وإنما الغرور والغطرسة أيضاً ، من هذا قوله : « ماذا يعلم خصم القلب عن حالك هذا ياسليم ففتح

---

(١) سليم كوه بلا وحسود شيشه حرص
مسلم است چه باشد به پيش كوه زجاج
[ص ٤٣]

(٢) شبي كه ابرسيه آتش بلا بارد
نشان بخت بدور وروزگار منست
[ص ٤١]

(٣) افلاك نيست لايق تخت وسرير ما
زير قـد سپهر بود يك حصير ما
[ص ٦٥]

(٤) جانا بسست ناز كه شاهان روزگار
بعد از عتاب وخشم گهي لطف هم كنند
[ص ٤٩]

جيشنا من التجلى الإلهى[1] » ويقول : « إن لم أسأل هذا القمر ياسليم فليس بعيدا إذ ليس قدر سؤاله من قدرنا[2] » . ويقول : « احفظ أنفاسك منى مثل الناى واسمع كلامى ولا تسمع كلام أحد[3] » . ويقول : « إن سليمى ملك جيش العشق اليوم فلا هو مقيـــد الروح ولا هو محتاج للأحبه[4] » .

المعانى الدينية فى الديوان :

ولقد حاول سليم مراراً للتعبير عن رغبته فى التعلم وفى الاستزاده من العلم حيث يدرك فى وجدانه يقينا أن العلم أساس الحضارة وعامل هام فى الحفاظ على قوة الدولة وسلامتها وبقائها وأن العلم مرتبط بالملك يزيد بزيادة

---

(١) سليم خصم دل چه داند اين حالت
که از ظهور الهيست فتح لشکر ما
[ص ١٣]
گر لکردم پرسش آن مه سليمی دور نيست
زانکه قدر پرسش او نيست مقدار مرا
[ص ٢٢]

(٢) چون نی زمن ای شوج نگه دار نفس را
بشنو سخن من مشنو گفته کس را
[ص ٢٤]

(٣) خسرو لشکر عشقت سليمی امروز
نه بجانست مقيدنه بجانان محتاج
[ص ٢٩]

العلم لذلك نراه يطلب من الله علما يزيد بوسعة الملك حيث يقول : « وامنح سليم الذى هو شحاذ بابك العلم يزيد بالمعرفة[1] » كذلك فإن العلم مرتبط بالبصيرة والبصيرة لاشك مفتاحها الإيمان لذلك هو يتمنى على الله دائماً أن يمنحه البصيرة عن طريق ارتباطه بالألوهية حيث تقول : « إن هناك أملا ياسليمى الملك وهو أن يدرك شرف البصيرة من وصاله[2] » . لذلك يتنكب طريق الشرع لأن مخالفة الشرع إثم يؤدى إلى الفضيحة ، يقول : « السير فى غير طريق شرعك ضلال كبير والمذنب فى طريق الفضيحة إليك منسوب[3] » .

ويلاحظ الدارس أن السلطان سليم يستعرض فى ديوانه ثقافته العامة وخاصة ما يتعلق منها بالنواحى الدينية فيورد فى شعره الآيات القرآنية شاهداً مثل قوله : « لو أنك تعرف معنى آية الشمس وضحاها فهى تعريف

---

(١) پادشاهى بسليمى كه گداى درتست
دانش بخش كه افزون بود از دانايى
[ص ٦]

(٢) هست اميد سليمى بشهنشاهى تو
كه بيابد ز وصالش شرف بينايى
[ص ٨]

(٣) جز ده شرع تو رفتن چه بسى گمراهى
بتو منسوب گنه كار دة رسوايى
[ص ٧]

لقمر وجه المصطفى الجميل[١] » . وقوله : « أيها الرفيق إن لم أمت فى سبيل حب هذا القمر لا تقرأ سورة الإخلاص من أجلى إخلاصاً لى[٢] » .

وهو يشير خلال أشعاره إلى قصص الأنبيـــاء حيث يقول عن آدم أبو الأنبياء : « كنت تعلم أن آدم أول من أذنب بحيث تأتى أنت آخر الأمر على عرش الشفاعة[٣] » . كما يشير إلى نوح فى قوله : « طولة الحانة أفضل لدى العربيد من العرش وكل لحظة تمضى هنية أفضل من عمر نوح[٤] » ويشير إلى قصة ابن نوح الكافر فيقول : « فضح غضبك ابن نوح النبى وإن تفعل هذا الأمر يفعله الأرمنى المسيحى[٥] » . ويشير إلى سليمان النبى فى

---

(١) اگر آگهى ز معنى والشمس والضحى
تعريف ماه روى دلا راى مصطفاست
[ص ١٠]

(٢) اى رفيق ار نه براه غم آن مه ميرم
بهر من سوره اخلاص نخوان از اخلاص
[ص ٦]

(٣) آدم اول كه گنه كرد همى دانستى
كه تو آخر بسر تخت شفاعت آيى
[ص ٧]

(٤) درپيش رند تخته ميخانه به ز تخت
يكدم كه بگذرد بخوش به ز عمر نوح
[ص ٤٥]

(٥) پسر نوح نبى را غضبت رسوا كرد
ور كنى امر كند از نبى عيسايى
[ص ٦]

قوله : « كان سليمان شحاذاً بعصا وزنبيل فأدرك من لطفك تلك العظمة المزينة للملك[1] » . ويشير إلى قصة موسى بقوله : « لك مائة عاشق مثل موسى على الطور صاروا اسيرة فى الخلق على لسان الواله الذهل(٢) » . وإلى قصة الخضر فى قوله : « عندما سمع الخضر حديث السباب من فمه خشى من الإنكار وأقره[3] » . وسليم يهتم كثيراً بذكر الرسول ومدحه والحديث عن معجزاته حيث يقول : « لقد أظلت برأسك السحاب الذى مع هذه العظمة حسد شمسك الشامخة(٤) » . ويقول : « إن الحكايات الكثيرة عن ليلة معراج قدره شرح عن وصف شعر المصطفى المضطرب ، وأن البدر المنير الذى شقه باصبعه كسره يابسة من مائدة المصطفى(٥) » . وثقافة سليم لاتقف

---

(١) يك گدا بود سليمان بعصا وزنبيل
يافت از لطف تو آن حشمت ملك آرايى
[ص ٦]

(٢) مثل موسى بسر طور تراصد عاشق
بر زبانه لانه بيهش شده در آلايى
[ص ٦]

(٣) خضر از دهنش وعده دشنام چو بشنيد
ترسيد ز انكار وبر اقرار گرفتش
[ص ٥٨]

(٤) سايه كردى بسرت ابر كه با اين عظمت
رشك بر كه بخورشيد توسر فرسايى
[ص ٧]

(٥) چندين حكايت شب معراج قدر او
شرحى ز وصف موى پريشان مصطفاست

عند الإلمام بالقرآن الكريم والقصص الديني والسيرة المحمدية فقط إنه كثيراً ما يستشهد في شعره بالقصص العاطفية العربية وخاصة قصة ليلى والمجنون من بني عامر مثال ذلك قوله : « لقد جعل المجنون عروق روحه حمراء وزرقاء حتى نقش لخيمة ليلى سجادة(١) » . وقوله : « إن دوامة الرياح التي تراها بصحراء الملامة كانت ثوب رقص حال المجنون الرقاص(٢) » . وقوله : « لم يفضح قلبي ألم وجدك كالمجنون ولو أنني جريت في إثر القلب مثل هذا(٣) » كما أنه ملم بالقصص الفارسي سواء ما كان منه قبل الإسلام أو بعد الإسلام فهو يشير خلال شعره إشارات فنية يفهم منها مدى المامه بهذه القصص حيث يشير إلى قصة رستم بن زال قائلا : « قلما يكون من عجوز رستم بن زال وإلا جاء من صلبك مثل هذا الشاب(٤) » . وقد حظى منه فرهاد عاشق

بدر منیر را که با نـگشت ساخت شق
یك خشك پاره ایست که از خوان مصطفاست
[ص ٩]

(١) رشتهای جان خود را ساخت مجنون سرخ وزرد
تا برای خیمهٔ لیلی پلاس نقش کرد
[ص ٤٧]

(٢) گرد بادی بهامون ملامت بینی
ژنده پوش بود از حالت مجنون رقاص
[ص ٦٠]

(٣) دلم نـکرد جو مجنون غم ترا رسوا
اگرچه درپی دل پیش از این دویدم من

(٤) رستم زال زیك پیر زنی کم بودی
گرنه از پشت تو می یافت چنان برنایی
[ص ٦]

شيرين إهتماماً كبيراً ويبدو أن كان من المعجبين بشخصيته وأسلوبه فى العشق حيث يقول : « ليس من أحد غير سليم ورث وجد فرهاد والمجنون على الأيام(١) » . ويقول : « لقد تعود قلبى على الألم والحزن وهناك طبيب وعلاج لـكل ناحت صخر (فرهاد(٢)) .

ومع أن حزن سليم وأنه أشد من آلام فرهاد والمجنون إلا من نفس النوع حيث يقول : « ما أكثر ما نحت فى العالم ياسليم من أجل عزاء فرهاد والمجنون(٣) » . وهو يشير كذلك إلى قصة وامق وعذرا حيث أنها من نفس نوع ليلى والمجنون وفرهاد وشيرين فيقول : « لم يبق اسم من المجنون ووامق وفرهاد فى زاوية الألم ولقد صرت أنا علامة على الفراق(٤) » . ويقول : « لا تسلنى ياسليم عن قصة فرهاد والمجنون فقد كسبت السبق منهم فى زاوية

---

(١) غم فرهاده ومجنون را در ايام
كسى غير از سليمى نيست وارث
[ص ٤٢

(٢) بدرد منبدى واندوه چو گرفته دلم
بلا ودرد هر كوهكن را طبيب وعلاج
[ص ٤٣]

(٣) ر بهر ماتم فرماد ومجنون
سليمى در جهان افغان من پس
[ص ٥٧]

(٤) بكوى درد ز مجنون و وامق وفرهاد
نمانده نامى ومن كشفة أم نشان فراق
[ص ٩٦]

العشق[1] » . ومن القصص الإسلامى نجده يتطرق إلى ذكر قصة محمود وإياز فيشير إليها إشارات تدل على فهمه لمحتواها ومضمونها ومغزاها حيث يقول مثلا : « سوف تنبت فى ساعة الحشر زهرة حمراء من دم محمود الذى اختلط بتراب اياز[2] » . ويقول : « إن الحبيب الذى له سيرة إياز وصورة محمود هو أحمد الذى صار ملك القلب والروح مسخرين له[3] » .

وواضح أن السلطان سليم قد حاول أن يبدو من خلال ديوانه إنسانا متدينا قريب الصلة من الله مؤمنا به راجيا فيه متواضعا رغم عظمته أمامه منفذا الأوامر وناهيا عن نواهيه متبعا لكلام الله وسنة رسوله واهل هذا الإلحاح على الجانب الدينى من شخصيته يعد فى واقع الأمر أثرا مباشرا للاحتكاك المذهبى بينه وبين ملوك الدولة الصفوية الشيعة الذى يرمونه بالكفر والالحاد والجهل بشريعة الله وروح الإسلام لذلك كان حريصا كل الحرص على أن يرد عن نفسه هذه الإتهامات من خلال أشعاره وينبت عكس

---

(١) اى سليم از قصه‌ٔ فرهاد و مجنونم مپرس
چون از ايشان من بكوى عاشقى برد
[ص ٩٧]

(٢) تا دم حشر دمد لالهٔ گلگون بيرون
ز خون محمود كه با خاك اياز آلوده
[ص ٩٠]

(٣) شوخ اياز سيرت ومحمود صورت
احمد كه هست ملك دل وجان مسخرش
[ص ١٢٤]

ما يدعيه الصفويون فكان على رأس المسائل التى حاول أن يؤكدها أن عبد الله يسعى بقدر ما يستطيع فى تنفيذ أوامر الله والنهى عن مناهيه حيث يقول مثلا : « لم يتأتى من عبد أمر قط بدون أمرك وأنا أفعل بأمرك كل ما تأمر[١] » . ويقول : « لا يجوز لشخص أو ملك أن يكون بعيداً عنك فإنك تعلم أسرار كل عبد كما هى[٢] » . ويقول : « بالله فإنى أتنازل عن العرش لو ترضى فاللعنة على هذه الدنيا وجمالها وزينتها[٣] » .

وهو لذلك يبدى أنه لا يفتأ يتمسح فى أعتاب الله التماساً للرضى تارة وحباً للعفو تارة وحبا فى الله تارة أخرى ولكن الحقيقة المؤكدة أن الملك لا يكون له رونق بعيداً عن الله حيث يقول: « لو أجد فرصة الآن لأن أرى طريقا إليه بضع مرات فإنى أرمى بنفسى أمامه وأخجل من وجهك[٤] » .

---

(١) هيچ بى امر تو بنده نيامد امرى
من بامر تو كنم هرچه تو مى فرمايى
(ص ٥)

(٢) بعيد از تو شاهى نشايد كسى را
كه اسرار هر بنده دانى كما هى
[ص ١٢٨]

(٣) بالله ز سلطنت گذرم گر رضا دهى
لعنت برين جهان وهمه زيب وزيورش
[ص ١٢٦]

(٤) فرصت او يابم وبينم دوه نوبت سويش
سر با پيش افكنم وشرم از رويش
[ص ٥٨]

ويقول : « بحثت عن رونق الملك بعيداً عن تراب بابك فلم يمكن لى غير الندم على هذه الأيام[1] » . ويقول : « لقد كتبت ملتمسا على ورق من دخان القلب إليك فاقبـــل رسالتى السوداء[2] » . ويقول : « إن سليمى لا يخفض رأسه لتاج الفلك لو أنك تقول من اللطف أنه عبدى([3])» ويقول: « إن مائة مثل رأس سليم تراب لقدمك ولو أنك تتجاوز رأس الأفلاك([4])» ويقول : « ياإلهى إن هذا الملك يجمل بك ملجأ ومعين كل ملك([5]) » .

ويترتب على هذا لتمسح فى الله والتواضع أمامه أن يكون راجيا فى الله آملا فيه حيث يقول : « لى رجاء من سيفك أن ألقى رأسى على قدمك

---

(١) دور از خاك درت رونق شاهى جستم
بجز اينست در ايام پشيمانى ما
[ص ١٤]

(٢) ز دود دل ورقى نقش كردم ام سويت
قبول ساز كه سر نامه سياه منست
[ص ٣٨]

(٣) بتاج چزخ سليمى فرو نيارد سر
اگر ز لطف بگويى كه او گداى منست
[ص ٤٠]

(٤) صد چون سر سليم بود خاك پاى تو
گرچه گذشته از سر افلاك افسرش
[ص ١٢٧]

(٥) خـدايا ترا ز بيد اين پادشاهى
كه مر پادشه را تو پشت وپناهى
[ص ١٢٨]

فتكرم وقل لى حقا هل تحقق مرادى أم لا ؟(١) » . ويقول : « أظهر اللطف لعاشقك لأنه جدير بذلك ولو تخجل من لسانه الفصيح » . ويقول : لسليم أمل لدى بلاطك هو أن يجد شرف البصيرة من وصاله(٢) » .

ولا شك أنه يرجو الله ويأمل فيه يبدى كثيراً من المذلة والضراعة والمسكنة كما يعبر عن إحساسه بالوحدة والغربة فى الحياة واليأس منها ونفض اليد عنها فإن صدر هذا عن سلطان له من القوة واليأس والمسكنة فى الحكم والسيطرة على كثير من الأقاليم والبلاد والتحكم فى مصائر كثير من العباد فإنه يحتاج إلى وقفة متأملة من الباحث ليدرك مضمون ذلك وأبعاده ، يقول السلطان سليم : « لا كان شخص مثلى مسكينا وغريبا أيضا ولا نصيب من عمرى وحياتى(٣) » . ويقول : « كنت معتزلا العالم دائما لأن قلبى فى

---

(١) ز تيغت آرزو دارم كه سر در پايت اندازم
كرم كن راستى بركو مرادم ميدهى يانه
[ص ٨٨]

(٢) هست اميد سليمى بشهنشاهى تو
كه بيابد ز وصالش شرف بينايى
[ص ٨]

(٣) كسى همچون من مباد گدا وغريب هم
وز عمر وزندگانى خود بى نصيب هم
[ص ٧٤]

فى ضيق من الزمان والزمان فى ضيق منى(١) » ، ويقول : « ليس لسليم أمل فى نفسه أو الحبيب فأى فاشل فقير وأى يائس أنا(٢) » . ويقول : « أنا مسكين الفراق بلا زاد وفقير مجروح القلب وأنت ملك ملك الحسن وروح الأحبة(٣) » .

على أن هذا الإحساس بالمسكنة أساسه توفر الصلة بين السلطان وبين الله وهى ليست صلة عادية وإنما يشعر السلطان من خلالها أنه ظل الله فى الأرض ، وأنه قائد جيشه الضارب بسيفه ويتجلى هذا المعنى فى قول سليم : « كل أنة تصبح بالنسبة لى نفيراً يؤذن بركوبه فيحق لى أن أخبر كل الجيوش(٤) » .

لذلك فهو يربط بين الجهاد فى سبيل الله بالقول والفعل ، باللسان

---

(١) هميشه داشتمى عزلت از جهان كه دلم
ز روزكار بجان وزوزكار از من
[ص ٦٤]

(٢) سليم رانه اميد ز خودست ونى از يار
چه نا مراد فقيرى چه نا اميدم من
[ص ٨٢]

(٣) من مسكين جدايى بى نوا درويشى دلريشى
تو شاه شهريار ملك حسن وجان جانانه
(ص ٨٨)

(٤) هر ناله نفيرى شودم وقت سو اريش
باشد كه خبر دار كنم جمله سپه را
[ص ٢١]

والسيف وبين حبه لله فالجهاد علامة على العشق الإلهى حيث يقول: «أجادل الأعداء كل وقت على أعتاب الحبيب ولكن ليس للروح مثل هذا الجدال مطلقاً فى حرمة الحبيب، إن بحث العشق يوم الحرب يكون بلسان السيف فإن النقاش فى كل أمر من شأن الأطفال(١)».

المعانى الصوفية فى الديوان :

ولعل هذا يجرنا إلى أن نبحث فى تصور العشق الإلهى لدى السلطان سليم من خلال ديوانه ونتبين ملامح هذا العشق كما يريده سليم وأبعاده التى يرتضيها فمما لاشك فيه أن التصوف كان ما يزال له طرقه ومريديه وأتباعه وكان العشق الإلهى يمارس بصور متعددة كل جماعة حسب اعتقادها وطريقها الموصل لذلك العشق وعند ظهور الدولة الصفوية بمذهبها الشيعى ومحاربتها للتصوف بمعنى الزهد والاعتكاف والعزلة والخلوة أصبحت قضية العشق الإلهى مطروحة تحتاج إلى تحديد من خلال بحث وجهات النظر بين من يهتمون بهذه القضية لذلك كان على سليم إن أراد التعبير عن فكرة العشق الإلهى أن يقدم أبعاداً محددة لهذه الفكرة من خلال الآراء الأخرى المطروحة فى هذه القضية فيرفض منها مايراه غير متناسب مع فكره ويؤكد

---

(١)

هر زمان بر دركه يارست از اغيار بحث
نيست جانرا اينچنين هركز بكوى يار بحث
روز ميدان از زبان تيغ باشد بحث عشق
كار طفلا نست كردن بر سر هر كار بحث

[ص ٤١)

منها ما يريد تأكيده لذلك يجدر بالباحث أن يعرض لما يرفضه السلطان سليم من الأفكار المطروحة حول العشق الإلهى قبل ما يحدد ما يراه هذا السلطان الشاعر من أفكار حول هذه القضية فالسلطان سليم يرى أن العشق ليس أكلا أو شرابا وأن مسألة الغذاء البدنى للانسان أمر ثانوى لا يتأكد العشق من خلاله حيث يقول : « أنا ليل نهار فى نواح مثل البلبل من خداع وردة وأنا لست ذلك الطائر الذى يأكل وينام(١) » .

كما أن العشق ليس راحة ونوما ولا صلة لهذين الشيئين بالعشق حيث يقول : « ليس فى كيانى فائدة غير وجد القلب فقد سلب عشقك من قلبى وروحى الراحة والنوم(٢) » .

كذلك فإن العشق يرفض العقل فلا اتفاق بينهما ولا اجتماع ولا إلتقاء حيث يقول : « العقل يقول تباعد عن العشق والجنون فكيف يصير هذا العقل البعيد الفكر قريبا لأحد(٣) » . ومن ثم فلا سبيل إلى البحث بالعقل فى العشق حيث يقول : « إن البحث فى العشق منذ آدم حتى هذه اللحظة ولم

---

(١) روز وشب درناله ام چون بلبلى از عشوه گلى
من نه آن مرغم كه باشد خوردى وخوابى مرا
[ص ٢٥]

(٢) نيست در آب وگلم جز غم دل حاصلم
برده زجان ودلم عشق تو آرام وخواب
[ص ٣٤]

(١) عقل مگويد كه از عشق وجنون بيگانه باش
آشنا كى چون شود اين عقل دور انديش را
[ص ٢٢]

يدرك أحد مباحث الوصال(١) » . ويترتب على تعارض العشق مع الطعام والشراب والراحة والنوم والعقل والبحث أن لا يجد العاشق ضيراً من تحمل ألم العشق وتفضيله على ملك العالم كله حيث يقول ؟ « لو أنهم عرضوا علينا ملك العالم لما قبلنا غير ألم العشق صديقا(٢) » . ويقول : « لو أنك وقعت ياسليم من ساحة الألم إلى ملك السلطنة فطالما تنوح بأن الله قدر ذلك(٣) » . ويقول : « هكذا صرت خادما للعشق على نار الملامة فيكفيني هذه السمعة في كل مكان(٤) » . ويقول : « إن لم تكن روحي قد فعلت شيئا من أجل وجد عشقك استبدلت السلطنة بنسمة هواء(٥) » .

---

(١) ز آدم تا بدين دم بحث عشقت
نشد آگه كس از وصل مباحث
[ص ٢٤]

(٢) برما اگرچه ملك جهان عرضه داشتند
جز درد عشق يار نشد دلپذير ما
[ص ١٧]

(٣) ور زكوى درد افتادى بملك سلطنت
اى سليمى چند مى نالى خدا تقدير كرد
[ص ٤٨]

(٤) بر چنين داغ ملامت شده ام چاكر عشق
اين قدر در همه جا نام ونشان مارا بس
[ص ٥٦]

(٥) اىكه از بهر غم عشق توجان حرف نساخت
سلطنت را بيكى باد هوا كرد عوض
[ص ٦٢]

ويقول : « لقد استبدل قلبي ملك العالم بالبلاء من أجل العشق مثل سليم[١] ». ويقول : «أي قيد على سليم بمحفل سرور السلطنة عندما ضرب العشق كأسه على صخر الملامة[٢] » . ويقول : « يكفي سليم دمع الألم واللوعة في عشقه فلا القلب مقيد بملك الكونين ولا بالمال والذهب[٣] » . لذلك صارت الدنيا في نظر العاشق دار عبث ولهو وهوس ينبغي إهمالها والتجاوز عنها ، يقول : « إن هذا الدهر المجنون ياسليم مكان عبث فاترك العبث والفكر والهوس بهمتك[٤] » . ويقول : « إن الغرض من ملك العالم ياسليم هو الشهرة ومتى كان لنا أن نبحث عن هذه الدنيا الزائلة[٥] » .

---

(١) چون سليمى دل من بهر شهنشاهى عشق
پادشاهى جهانرا ببلا كرد عوض
[ص ٦٢]

(٢) سليمى را چه قيد بزم عيش سلطنت باشد
چو عشق باربر سنگ ملامت زد سبوى او
[ص ٨٧]

(٣) بعشق او سليمى را سرشك درد زارى بس
نه دل در شاهى كونين يا در مال وزر بسته
[ص ٨٩]

(٤) جاى عبث است اين هوس دهر سليمى
بگذار بهمت عبث وفكر وهوس را
[ص ٢٤]

(٥) اى سليم از شاهى عالم غرض آوازه ايست
كى بوده مارا پى اين دنى مردار بحث
[ص ٤٢]

ولكن هل اعتبار الدنيا دار زوال ولعب ولهو وتركها وعدم الاعتماد عليها يكفي لأن يصبح الإنسان عاشقا أو على الأقل على طريق العشق الإلهي ، كلا حيث يرى السلطان سليم أن هذا وحده لا يكفي بل هناك شروط ينبغي توافرها لتحقق العشق الإلهي حيث يقول : « أتريد أن تجعل كنز العشق لوح صدرك فاغسل القلب من غبار الحقد كالمرآة[١] » . وليس التخلص من الحقد وحده شرط للعشق بل هناك شروط أخرى منها عدم الخضوع للخصوم والتسامي عليهم حيث يقول : « لو كان الفلك من خصك لا تمكث في الأرض ياسليم حتى يظل العشق رأسك[٢] » . كذلك فإن القناعة من الحبيب بما يجود به حتى ولو كان جفاء حيث يقول : « إنني قانع من وجدك أيها القمر بالألم والبلاء وأكون قانعا بالجفاء دائما حبا في وجهك[٣] » . كما أن العاشق لا ينبغي أن يملك من نفسه شيئا حيث يقول : « أية حال هذه إنني أريد أن أذهل عن نفسي دائما وأهلك عشقا في وجه صبي جميل[٤] » .

---

(١) خواهى كه كنج عشق كنى لوح سينه را
از دل بشوى آيينه سان كرد كينه را
[ص ٢٧]

(٢) تابر سر تو سايهٔ عشقتتست اى سليم
از خصم كر سپهر بوددر زمين مباش
[ص ٦٠]

(٣) هستم ز غمت اى مه با درد وبلا قانع
وز عشق رخت باشم دايم بجفا قانع
[ص ٦٣]

(٤) چه حالست اين كه خواهم دايم از خود بيخبر باشم
هلاك عشق رخسار يكى زيبا پسر باشم
[ص ٧٢]

وعلى العاشق أيضا أن يتطهر من كل شيء ماعدا العشق حتى ولو كان في سعير الوجد حيث يقول : « مع أنني احترقت في سعير الوجد ياسليم إلا أني تطهرت من كل ذنب سوى العشق[١] » .

بل وينبغي على العاشق أن يكون عدو نفسه حتى يوم القيامة ثباتا على عشقه ووفاء لمعشوقه ، يقول سليم : « أكون عدواً لنفسي حتى القيامة على سبيل الوفاء لو أعلم يقينا أنك الآن محبوبي[٢] » . والصمت عن السر وعدم البوح به من شروط العشق حيث يقول : « في قلبي سر كبير ولكن أين صاحب الوجد الذي يمكن قول السر له في العالم[٣] » . ويقول : « لا أقول سري أمامك ولو أنك حبيبي فقد صار سر العدو لي مثلك محرم أسراري[٤] » .
ويقول : « إنك لا تفتح شفة لحديث والحال صعب فقل كلمة تكون فالا

---

(١) من ار بدوزخ غم سوختم سليم وليك
ز هر گنه كه بجز عاشقيست پاك شدم
[ص ٧٥]

(٢) تا قيامت دشمن خود باشم از روى وفا
گر يقين دانم كه اكنون دوستدار من تويى
[ص ٩٤]

(٣) در دلم راز فى او افست ولى در عالم
اهل دردى كه باو راز توان گفت كجاست
[ص ٣٤]

(٤) راز خود بيشت نگويم گرچه يار من توئى
راز دشمن شد مرا چون راز دار من تويى
[ص ٩١]

لى فى هذه الآلام[١] » . بقى لنا أن نتعرف على ماهية العشق وصفته كما يراها سليم وكما عبر عنها فى أشعاره حتى تكتمل لنا صورة العشق الإلهى عنده حيث يقول : « إن قلبي يتنفس من وجد عشقك هذا الزمان فطريق العشق لا بداية له ولا نهاية ، ليس للمشتاقين ورد غير ذكر وجدك حيث يصل إلى سمعى صوته من كل صوب[٢] » .

ويقول : « عندما وقع سليم فى صحراء العشق تلك لم يسق أى عاقل خبراً عنه مرة أخرى[٣] » .

فإذا كان طريق العشق طويل لا بداية له ولا نهاية ومن يسلكه كأنما يسلك صحراء قاحلة لا يعرف أحد أخبار من سار فيها فإن معنى العشق فى هذه الحالة يكون التوكل والتسليم حيث يقول سليم : « إننا لا نذهب فى

---

(١) بتكلم نگشايى لب ومشكل حاليست
يك سخن گو كه درين دغدغه مارا فاليست
[ص ٣٥]

(٢) دل من از غم عشقت دم آن زمان ميزد
كه راه عشق نه انجام داشت نه آغاز
بغير ذكر غمت نيست ورد مشتاقان
زهر طرف كه بگوشم همى رسد آواز
[ص ٥٥]

(٣) انكو بره عشق فروشد جون سليمى
زو هيج خرد مند نيـاورد خبر باز
[ص ٥٣]

إثر ماء الحياة كالاسكندر فإن التوكل شيخنا فى طريق عشقك[١] » ويقول:
« لو بقيت حياً بوجده ياسليم فأى عجب فالحياة والموت ليسا من إختيارى[٢] »
والموت فى مقابل هذا يتخذ معنى آخر بالنسبة للعشق هو معنى الوصال فالموت يصبح مع العشق قنطرة يعبرها العاشق ليصل إلى معشوقة ، يقول سليم :
« ما أسعد هذا اليوم الذى يكون التابوت فيه محملنا فى طريق كعبة الآمال أملا فى الوصال[٣] » . وبهذا أيضاً يكون الفناء بمعناه الصوفى مرحلة أخرى من مراحل العشق الإلهى ، يقول : « أين أذهب أنا المهجور سوى فى طريق العدم عندما يكون من ينتظرنى منى ولأجلى[٤] » .

ويقول : « أيها العاشق لقد سلكت طريق العدم من طريق الوجود

---

(١) ماچون سكندر ازپى حيوان نمى رويم
عشقت تو كلست درين راه پير ما
[ص ١٦]

(٢) سليم اگر بغمش زنده مانده اى چه عجب
كه زنده بودن ومردن نه اختيار منست
[ص ١٤]

(٣) در ره كعبه مقصود باميد وصـــال
اى خوش آن روز كه تابوت بود محمل ما
[ص ١٥]

(٤) كجاجا روم من مهجور جز براه عـدم
براى من چو همين منتظر مرا ز منست
[ص ٤١]

ولو أنك لم تكن مدالم الأقدم فى قيام العشق[١] » . فإذا كان العدم بابا مفتوحاً إلى العشق فلاشك أن البعد عن الحبيب مهما طال لا يحسب من العمر ، يقول : « أقيم بعيداً عن حبك أحسد النسيم فكيف أدخل عمراً مثل هذا فى حسابى[٢] » ورغم هذا فالتطلع نحو الحبيب ليس من أدب العشق وينبغى الحذر منه حيث يقول : « إن التطلع ناحية ذلك القمر ليس من أدب العشق فحذار ياسليم واحفظ الأدب[٣] » .

والمحب العاشق يلتمس دائماً قوته وطاقته من زاد العشق فالعشق فى نظر سليم قوة تمنح للعاشق حيث يقول : « إن من يصبح عبد عشقك بصدق طاهر فإن الآفا مثل قيصر يصبحون تراب طريقه[٤] » . ويقول : « امنحنى

---

(١) عشق باز از راه هستی سرنهادی در عدم
گر نبودی در قیام عشق باری پای درد
[ص ٤٨]

(٢) دور زکویت مقیم رشك برد بر نسیم
عمر چنین را سلیم کی کند اندر حساب
[ص ٣٤]

(٣) دیدن سوی آن مه ادب عشق نباشد
زنهار سلیمی که ادب داد نگه را
[ص ٢١]

(٤) آن کو غلام عشق تو گردد بصدق پاك
باشند خاك راه هزاران چو قیصرش
(ص ١٢٥)

فرصة لـكسب الألم فى طريق العشق وامنحنى هذا الجاه والسلطان أنا المسكين الحائر[١] » .

ويقول : « لا تطالب ياسليم حماية إلا من العشق فيكفينا سيف اللسان حتى نستولى على العالم[٢] » . ويقول : « يكفينى حى وجدك حديقة وخميلة فيكفينى حب الوطن فى العالم[٣] » . ويقول : « منذ أدركنا التوفيق بسبب عبودية العشق صار القمر والشمس أسيرينا من الفلك[٤] » . وقد خصص سليم غزلية بلور فيها هذا المعنى فى معرض فخره بإدراك معنى العشق الإلهى ونجاحه فى هذا السبيل مؤكدا أن ماحققه من مجد فى الدنيا إنما هو نتيجة لهذا الأمر حيث يقول : « أخذت الخراج من الشرق والغرب بملك العشق فأنا ملك جيش الوجد ولا أخاف الأرجوان ، لقد وصلت دولتى من كرم

---

(١) براى كسب در دم در طريق عشق فرصت ده
من بيچاره را سرگشته اين جاه ودولت ده
[ص ٦٤]

(٢) اى سليمى بجز از عشق حمايت مطلب
تا بگيريم جهان تيغ زبان ماراپس
[ص ٥٧]

(٣) مرا كوى غمت باغ وچمن پس
همينم در جهان حب وطن پس
[ص ٥٧]

(٤) تا مقبلى ز بندگى عشق يا فتيم
خورشيد ومه شدند ز گردون اسير ما
[ص ١٧]

العشق إلى مكانة بحيث تحصل همتى الضرائب من الأقاليم السبعة ، كيف أفكر من أجل عرش عالم الفناء ولى الحظ فى سرير الفتح وتاج النصر ، إن جيشى من جوهر بحار السيف ولست محتاجاً لأى شخص بهمتى العالية[1] ».

فإذا كان العشق مصدر القوة فلا سبيل إلى الخوف من المحنة والألم بل بل إن ازدياد هذه المحنة وذلك الألم دليل على اكتساب القوة فليس غريباً أن نرى سليم يتمنى من الله أن يزيده من المحن والآلام حيث يقول: « صار جسدى مجروحاً بسيف الوجد فلتزد الجروح وقد كثر بلائى وزادت محنتى فلتزد أكثر من هذا[2] » .

بل إن السلطان سليم يتجاوز ذلك إلى الفخر بهــــذه الآلام والمحن والأذى حيث يقول : « من كثرة ما تأتى سهامك إلى صدرى كل لحظة

---

(١) بملك عشق گوفتم ز شرق وغرب خراج
شه شپاه غم نيست با كم او ليلاج
رسيده از كرم عشق دولتم جايى
كه همتم ز اقاليم سبعة گيرد باج
براى تخت جهان فناچه فكر كنم
مرا كه بخت بود تخت فتح ونصرت تاج
بود ز گوهر درياى تيغ لشكر من
نيم بهمت عالى بهيچ كس محتاج
[ص ٤٣]

(٢) تنم افگار شد از تيغ غم افگار تر بادا
بلا ومحنتم بسيار شـــد بسيار تر باد
[ص ٢٦]

اختفى قلبي بالدماء وسط السهام[١] » . ويقول : « لقد تجاوز ظلم ذلك القمر لي أنا التافه فاضح الروح أيها القلب فقد جاوز بالله لطف الحبيب الحد[٢] » . ويقول : « إن وفائك وعطفك لأهل السرور كثير ويكفيني أنا أن وجدك خاص بي[٣] » ويقول : « لو مت على ذكر شفته ياسليم فإني أكون مسرور لأن الحديث صار ذكرى في العالم مرة[٤] » . ويقول : « امنحني الإستقامة في إقليم العالم فإنني عابر سبيل في طريق وجدك[١] » .

وقد اعتاد الصوفية على التأكيد بأن الخمر الروحية تساعد العاشق في آلامه وأحزانه ووجده وبلائه وقد تحدث سليم كثيراً عن هذه الخمر الروحية

---

(١) ز بس كه تير تو برسينه آلام هر دم
بخون نهان شده دل درميان بيكانها
[ص ٣٠]

(٢) جور آن مه بامن بى اعتبار از حد گذشت
جان بده اى دل كه بالله لطف يا د از حد گذشت
[ص ٣٦]

(٣) وفا ومهر تو با اهل عيشى ارزانى
مرا بس اين كه غمت خاصه از براي منست
[ص ٤٠]

(٤) سليمى گر بياد لعل او مردم بدين شادم
كه بارى ياد گارى در جهان گفتار شد از من
[ص ٨٠]

(٥) توده استقامت در اقليم عالم
كه هستم براه غمت مرد راهى
[ص ١٢٨]

صور متعددة والأغراض شتى حيث نجده يقول : « بدون خمر المحبة ونقل شفه الحبيب لا يتحقق الفتوح لقلب العشاق لحظة[١] » فالخمر ضرورية فى طريق العشق الإلهى للعاشق كما أنها من العادات المحببة للمعشوق حيث يقول : « استيقظت عين المحبوب ثملة حمراء فقد تعود أن يجعل وجهه أحمر من حرارة الشراب[٢] » وهى خمر لا مناص منها ولا فائدة فى الرجوع عنها أو التوبة منها لأنها لدى العشاق هى التوبة النصوح حيث يقول : « لا تقل لى أيها الزاهد تب عن العشق والخمر فإن لى توبة نصوحاً عن هذا النوع من التوبات[٣] » . ويقول: « حل سيل الخمر الخبائث عن كل شخص فلم قال الفقيه أنها أم الخبائث[٤] » ويقول : « يكفينا من الدنيا خمر ومحبوب ومنافس وهذا السلوك يكفينا من

---

(١) بى بادهٔ محبت ونقل لب حبيب
يكدم نمى رسد بدل عاشقان فتوح
[ص ٤٦]

(٢) مستانه چشم يار در آمد ز خواب سرخ
خوى كرده روى گشته ز تاب شراب سرخ
[ص ٤٦]

(٣) زاهد مگو كه توبه كن از عاشقى ومى
زن نوع توبه‌هاست مرا توبهٔ نصوح
[ص ٤٥]

(٤) برد سيل مى از هركس خبائث
چرا گفته فقيه ام الخبائث
[ص ٤٤]

كل الـكون والمـكان[١] » . والخمر تنعش القلب وتمنح الحرارة للعاشق وتستلزم الطرب والانبساط حيث يقول سليم : « أيها الساقى أعطنى الخمر كى أجعل وجهى الأصفر أحمر ويا أيها المطرب داعب العود حتى يتغنى القلب بحالة[٢] » . والخمر هى الروح والحقيقة لأنها لا تتفق مع الرياء فى الزهـــد والعبادة وعلى الزاهد إن أراد أن يتخلص من الرياء أن يشرب منها ، يقول سليم : « الحال فى صومعة الصوفية وأرض الزهد جدل إشرب الخمر أيها الزاهد فحتى متى هذا الرياء فى الزهد[٣] » وحيث يتواجد الثملى بخمر العشق فلا مجال للجدل وأحاديث الوعظ والإرشاد لأن الدنيا وما يتعلق بها لا قدر له ولا اعتبار ، يقول سليم : « أيها الزاهد كيف تعظ الثملى بحديث دينى ففى هذا المنزل لا قدر الآن للدنيا[٤] » .

وليس هناك تفكير فى الغد ، واليوم والغد يتساويان لدى السكارى

---

(١) مى ومحبوب وحريفى ز جهان ما رابس
این روش از همه کون ومکان مارابس
[ص ٥٦]

(٢) ساقیا می ده که سازم روی زرد خویش ا کـ
مطربا بنواز چنـکـ تا کند دل حسب حال
[ص ٧١]

(٣) حال دردیر مغانست وبـکوی زهد قال
زاهدا می نوش این زهد ریائی تا بـکی
[ص ٩٣]

(٤) بسر مستان چه میگوئی حدیث دینی ای زاهد
در آن منزلـکه باشد حال قدری نیست دنیارا
[ص ٨٤]

بخمر العشق يقول: «لا تهتم بشأن الغد وأدر القدح أيها الساقى فلا فرق لدى السكير بين اليوم والغد[١]».

وهكذا يتأتى الوصال فى نظر سليم بسبب العشق بل إنه يتغلغل فى الانسان فيظهر فى كل ذرة من حوله ، يقول : « اعلم ياسليم أن الوصال ظاهر فى كل ذرة بسبب العشق ولا حديث بعد هذا[٢]» والجميع بهذا المعنى عشاق فكلهم يطلب الحبيب بقلبه وروحه ، يقول سليم : « الكل طالب حبيب بقلبه وروحه ياسليم سواء كان مقيم حرم الزهد أو سكيراً[٣] » . أما وقد درسنا آراء سليم وأفكار ومعتقداته علينا أن ننظر فى الأدوات التى استخدمها فى تعبيره عن هذه الأفكار والمضامين ، ولعل الدارس يدرك منذ البداية أن سليماً حاول أن يجسد المعانى فى ظواهر مادية خاصة ما هو قريب منه فى متناول يده ويشير إلى وضعه الاجتماعى والسياسى والمذهبى فنراه يستخدم أدوات الحكم ووسائله فى التعبير عن معانى روحية وخاصة فى العشق الإلهى فنراه يقول : « ليس فى ملك العدم مثل رسم الحزن والغم فليس أفضل من

---

(١) ميفكن كار بافردا بدور آور قدح ساقى
که فرقى نيست پيش باده نوش امروز فردارا
[ص ٣٠]

(٢) اى سليم از عشق در هر ذره ظاهر دان وصال
نيست حرفى بعد از اين والله اعلم بالصواب
[ص ٣٣]

(٣) اى سليم از دل وجان طالب يارند همه
گر مقيم حرم زهد اگر باده پرست
[ص ٣٨]

أن نعود للعدم أيها القلب[١] » . ويقول : « على رأسه تاج اللباد مثل السحاب الجامح الذى تخلف خجلا من قمر وجهه[٢] » . ويقول : « صارت عينه الكافرة مغيرة على الإيمان مرة أخرى وألقت الفتن فى دين المسلمين مرة أخرى[٣] » ويقول : « الآه أنه من نفير جيش حزننا فاحذر أيها الجميل الجرىء العين من سهمنا[٤] » .

ويستتبع هذا استخدامه للظواهر الحضارية والماديات للتعبير عن المعانى الالهية والروحية والنفسية ومن ذلك قوله : « على لوح طبعنا الطاهر ياسليم قد نقش من الأزل حرف بقلم كاتبنا[٥] » . ويقول : « أنا تراب طريق

---

(١) در ملك عدم نيست چو رسم غم واندوه
ای دل به از اين نيست كه گرديم عدم باز
[ص ٥٤]

(٢) بر سرش تاج نمد هست چوابر سركش
كه ز شرم مه رويش بعقب واكشته
[ص ٩١]

(٣) گشت چشم كافرش غارتگر ايمان دگر
فتنها افكند در دين مسلمانان دگر
[ص ٥٠]

(٤) آ هست ناله از سپه غم نظير ما
ای ترك شوخ چشم حذركن زتير ما
[ص ١٦]

(٥) بر لوح پاك طبع سليمست از ازل
حرفی كه نقش بست بكلك دبير ما
[ص ١٦]

الجنة والهجر زرعى وسحاب البلاء على رأسى والمظلة جيشى[١] » . ويقول : « هكذا اصطفت أهدابه الكافرة بغمزة وظهر فى العيون سواد جيشه[٢] » . ويقول : « خرج الحبيب من الخيمة وقد تجهز بعدة الحرب قاصداً دم مائة مثلى أنا المسكين المستعد للخدمة[٣] » . ويقول : « يامن خطك ممدوح لمدح العشق ويامن كتاب الحسد مشروح بوجهك[٤] » . على أن السلطان سليم كان مقلداً فى محاولته لنظم الغزليات الصوفية فرأيناه يقلد غزلية حافظ الشيرازى الشهيرة التى يبدأها بقوله :

ألا أيها الساقى أدر كأساً وناولها

كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكلها

فى غزليته التى يقول فيها :

---

(١) خاك ره محنتم هجر گياه منست
ابر بلا بر سرم چتر سپاه منست
[ص ٣٥]

(٢) اينك بغمزه صف زده مژگان كافرش
در ديده‌ها نموده سياهى لشكرش
[ص ١٢٤]

(٣) برون آمد ز خرگه يار برگ جنگ بربسته
بقصد خون صد همچو من مسكين كمر بسته
[ص ٨٩]

(٤) اى خطت مدح عشق را ممدوح
نسخهٔ خوبى از رخت مشروح
[ص ٤٤]

ما أحلى ألم الفراق وحرقة هجرك كراحة للقلوب فوجد عشقك يحل المشاكل فى إقليم المحبة ، الرجال المتعودون البلاء كالتماسيح فى الدمع ولقد ولوا وجوههم عن الساحل إلى بحر عشقك ، يجمل الفقيه ثواب الحج فائدته ولكنه لا يعرف أن عشاقك لهم فائدة من الخسارة ، إن خفيف الروح الذى طاف حول الحى حى الأحبة برجولة قد طوى المنازل فى وادى السعادة بلا قدم ، يفتح الحبيب الشفة يا سليم فى النطق ويحل عقدة الذؤابة فصارت الشكوك يقينا وصار كل الباطل ثابتا(١) » .

وهو يشير كذلك إلى التقليد وأنه أفضل من السرقة الشعرية حيث يقول : « سرق هاشم فى الشعر فقلت له لا تفعل لأنك تقول إننى أعمل مثل

---

(١) زهى درد فراق وسوز هجرت راحت دلها
غم عشقت در اقليم محبت حل مشكلها
نهنگ آسادر آب ديده مردان بلا پرور
نهاده رو بسوى قلزم عشقت ز ساحلها
ثواب حج كند حاصل فقيه اما نمى داند
كه دربيحاصلى دارند عشاق تو حاصلها
سبك روحى كه طوف كوى جانان كرد مردانه
بوادى سعادت بى قدم طى كرده منزلها
سليمى يارلب در نطق واز كاكل گره بگشود
گمانها شد يقين وگشت ثابت جمله باطلها
[الديوان صـ ٦]

نظامی ، فخجل وقال يستر انفعاله ليس عيباً أن أقلد جامی أحيانا(١) .

وهو إن كان يدافع عن شعره ولا يرى فيه انتقاصا لقدره كسلطان عظيم عندما يقول : « أی عيب أو أی ضرر لكمال سلطنتی عندما تبقی هذه الغزليات ذكری منی(٢) » ويؤكد أنه قد تعب فی هذا الغزل و كتبه بوجده وانفعاله من صميم قلبه حيث يقول : « سودت بضعة أوراق من دخان قلبی فنتجت هذه الغزليات الرائعة منی(٣) » .

وإن كان كثيراً من الشعراء والكتاب لم يعرفوا قدر الشعر والأدب ولم يدركوا أصل الحديث عن العشق فی حين يتباهون بالمعنی والمضمون فی شعرهم فهو يردهم ويعيب علی أدعائهم بأن المعنی لا بد له من جمال ووجد ، يقول : « مع أنه قد جاء إلی العالم كثير من أهل الكمال بقی عن كل منهم عدة كتب أو فصلا من الشعر ، إلا أن شخصاً لم يعرف قدر الكلام والشعر ولا أدرك أحد أصل الكلام فی العشق ، وقد أحضر لی شاعر شعراً كله

---

(١) كرد هاشم دزدی در شاعری گفتم مكن
چون ميگوئی كه من كار نظامی ميكنم
شد خجل وانكه بدفع انفعال خويش گفت
عيب نبود كه گهی تقليد جامی ميكنم
[ص ٦٧]

(٢) كمال سلطنتم راچه عيب ياچه زيان
چو ماند اين غزليات يادگار از من
[ص ٦٤]

(٣) ز دود دل ورق چند را سيه كردم
وجود يافت غزلهای آبدار از من
[ص ٦٤]

معنى قائلا من من الشعراء ينبغى له شعرى ، وكثيراً ما تباهى بمعناه الخاص فقلت له كل هذا إدعاء فينبغى لمعنى هذا الـكلام حال(١) » .

إلا أن السلطان سليم نفسه نظم كثيراً من الغزليات الصوفية التى تبدو غير عميقة المعانى بحيث يشعر الدارس أنه ليس من ورائها أية تجربة صوفية وأنها محض تقليد لشعراء الصوفية ومن أمثلة ذلك غزليته التى يقول فيها : « إن ساكن حبك ليس محتاجا لروضة وليس المشتاق إليك فى حاجة إلى روضة رضوان ، إن كافر العشق الذى ربط القلب بخصلتك وذؤابة شعرك مقيد الروح ولا محتاجا للايمان ، وأنا حيران فى زواية كل ليلة من التفكير فى ذؤابتك واست محتاجا للشمس والقمر ، ما أسعد هذا العاشق الدوريش الذى نظم الدر فى سلك الجنون بالألم والوجد وليس محتاجا للدواء ، إن سليمى أمير جيش العشق اليوم فليس مقيد الروح ولا محتاجا للأحبة(٢) » .

---

(١) گرچه در عالم فراوان آمدند اهل كمال
مائد از هريك كتابى چند يا فضل كتابى
نى كسى قدر سخن دانست وشعر شاعرى
نى كسى آگاه شد در عشق از اصل سخن
به پيشم شاعرى آورد شعرى سربسر معنى
كه اين شعر مرا از شاعران امثال مى يابد
بسى از معنى خاصش همىزد لافها گفتم
همه د عويست اين معنى سخن را حال مى يابد
[ص ٦٥]

(٢) ساكن كوى تو نبود بگلستان محتاج
نيست مشتاق تو با روضه رضوان محتاج

كما أن اللغة الفارسية لم تكن أداة طيعة للسلطان سليم بقدر ما كانت لشعراء الفارسية حيث يبدو من ديوانه أنه بذل الكثير من الجهد فى تطويع الكلمات والعبارات والأسلوب لاستيعاب المعانى التى يريد التعبير عنها فنراه يقول مثلا فى مدحه للرسول عليه السلام : « هذا النور هو ظهور كمال العشق ومضة من أشعة أنوار المصطفى[1] » . ويقول فى الألوهية : « من عجب أن وقعت نقطة حول فمك فقط ولو أن الألوهية هى نفس هذه النقطة فقط بلا فرق[2] » ويقول فى وصف الحبيب : « إذا رأيت طاق حاجبه كثير

كافر عشق كه در كامل وزافت دل بست
نه بمجالست مقيد نه بايمان محتاج
هرشب از فكر سر زلف تو در كوشهٔ غم
بمه ومهر نباشم من حيران محتاج
إى خوش آن عاشق درويش كه در سلك جنون
ساخت با درد وغم نيست بدرمان محتاج
خسرو لشكر عشقت سليمى امروز
نه بجانست مقيد نه بجانان محتاج
[ص ٤٤]

(١) اين روشنى كه هست ظهور كمال عشق
يك لمعهٔ از تشعشع انوار مصطفاست
[ص ٩]

(٢) عجب افتاده فقط نقطهٔ دور دهنت
گرچه بى فرق خدايست همين نقطه فقط
[٦٢]

الثنايا فكر أى أهل فن السحر قد تفنن فيه(١) » . وهو كذلك يلجأ إلى تكرار الكلمات إذ أعوذته المترادفات حيث يقول مثلا : « صار العرش من ذلك الجم على الشرفة زينة النور حتى تتجلى بقدرتك عليها فى ليلة المعراج ، إنها عبادة الأصنــــام بغير الحب كل حب يكون وكل خيال بدونك كله حى(٢) » .

وقوله : « أيها الحبيب كان ترك الرأس فى طريق حبك سهلا فلو يعود يكون حبك منزلنا(٣) » . ويقول : « إن قلبى لا ينطلق إلى باب الخانقاه مطلقا ولقد تمزقت حتى الذيل فى طريق الدير(٤) » . كما أنه كان من الممكن أن يستفيد من الكلمات التركية إذا رأى فيها تعبيراً أكثر دقة عن المعنى

---

(١) چو طاق ابروى پرچين او ديدى يكن فكرى
كه در فن گره بندى كدام اهل هنر بسته
[ص ٨٩]

(٢) عرش زان كنگره شد زينهٔ نور
تا تواش در شب معراج بقدر آرايى
بت پرستى بجز از مهر هر مهر كه هست
هر خيـال كه بغير از تو همه سودايى
[ص ٧]

(٣) ترك سر سهل بود در ره عشقت جانا
گرشود باز سر كوى توسر منزل ما
[ص ١٥]

(٤) نميكشد بدر خانقــــه دلم هرگز
بدير تا بگريبان چاك چاك شدم
[ص ٧٥]

الذى يقصده أو إذا خانته ذاكرته فى الفارسية ولكنه حرص كل الحرص على أن يبتعد عن الكلمات التركية فإذا لجأ إلى الكلمات العربية فان هذا لا يكون عيبا لأن اللغة الفارسية نفسها وشعراء الفرس أنفسهم يستفيدون كثيراً من اللغة العربية ولكن الذى يلفت نظر الدارس لشعر سليم أنه استعمل كلمة ترك كثيراً للتعبير عن الجمـــال فان كان شعراء الفرس قد استخدموها بنفس هذا المعنى إلا أن بزهم فى ذلك ومن أمثلة هذا الاستخدام قوله : « أى فتن أثارها جمال عينك فى ملك العراق و كذلك فى العرب(١) » وقوله « منذ تقرر لنا ملك العشق كان جمال الفلك شحاذنا طلبا للنور(٢) » ولقد تمادى فى متابعة شعراء الصفويين حين أكثر من استخدام لفظ (سگ) بمعنى « كلب » فى أشعاره دون أن يدرى أن هذا اللفظ صار اصطلاحاً شيعياً للتعبير عن شدة الإخلاص والوفاء والولاء والطاعة للامام على وأولاده من بعده ومن أمثلة ذلك قوله : « عندما صار تراب طريق كلاب بابك على رأسنا صارت أرض قلعة الأفلاك مسخرة لنا(٣) » . وقوله : « أيا كلاب هى تلك

---

(١) ترك چشمت چه فتنهـــا افكسند
هم بملك عراق وهم بعرب
[صـ ٣٢]

(٢) تا بـــا سلطنت عشق مقرر گرديد
او پى نور بور ترك فلك سايل ما
[صـ ١٥]

(٣) چوخاك راه سگان در تو شد سر ما
ز مين قلعهٔ افلاك شـــد مسخر ما
[صـ ١٢]

الحسناء لا تطردوني وإلا كيف يعرف الناس معارفهم[1] » . وقوله : « أنا كلب رأسي على عتبتك فأين أبغي لي مكانا آخر[2] » وقوله : « لو أن بي عار في العشق من اسم الفلك فاني أقول لأقل كلابك ياصاحب السعادة[3] ».

لكن هذا لا يمنعنا من أن نؤكد على أنه رغم أن السلطان سليم ليس من أهل اللغة الفارسية إلا أنه أجادها وفهم خباياها واستخدمها في نظم الشعر فصارت طوع قلمه ويشهد ديوانه أنه برغم الملاحظات التي أبديناها على شعره إلا أنه كثيراً ما كان ينساب عـذبا جزلا رائق الصور بديع الخيال بسيط التعبير في سلاسة وقوة ووضوح لا نلمسها أحيانا في شعر عديد من شعراء الفارسية أنفسهم ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نورد بعض الأمثلة الرائعة في شعره ، حيث يقول : « أخجل منك وأنت لا تخجل من جفائك فلو أنك لا تعلم إلا أنك قد أحرقت سليماً[4] » . ويقول : « لقـــد ملأت

---

(١) اى سگان كوى آن رعنا مرا نيندازيد
كى چنين دارند مردم آشناى خويش
[ص ٢٨]

(٢) من سگك سر بر آستـانِ توام
جاى ديـگر مرا كجاست غرض
[ص ٦١]

(٣) از نام چرخ اگرچه در عشق نام دارم
هر كمترين سگت را عالى جناب گويم
[ص ٧٧]

(٤) من ز تو ميكنم حيا تو ز جفاى خويش نى
گرچه نه آگهى ولى سوخته اى سليم را
[ص ٢٠]

صدری بالملح من بسمة وقتلنی أنا المسكين یاسلطان الحسان(١) » . ویقول : « هكذا صرت ضعيفا من الحزن كسروة فی المــاء فلا أكاد أری نخاع عظامی(٢) » . ویقول : « إسمك یسرقنی ویضرم النار فی روحی وأنا أرید أن أحرق لسانی من الغيرة » . ویقول : « كنت أظن ذات ليلة أن أری ذلك القمر فی المنام وظللت علی هذا حتی طلعت الشمس فجأة ؛ آه من هـذا الحال أن ذلك الـكافر لو أسأله مائة سؤال فإنه لا یجیب قط بسبب استغنائه بالحسن » .

ویقول : « لا تمر وجهك كل لحظة اقتلی ولا تـكن ناریا هكذا یاشمس

---

(١) از تبسم پر نمك كردی درون خویش را
كشتی ای سلطان مه رویان من درویش را
[ص ٢٢]

(٢) آنچنان گشتم ضعیف از غم چون سروی در آب
می نتوانم دید مغز استخوان خویش را
[ص ٢٩]

(٣) می برد نام تو وآتشی بجانم میزند
خواهم از غیرت بسوزانم زبان خویش
[ص ٢٩]

(٤) فكر میكردم شبی كان ماه را بینم بخواب
من درین بودم كه ناكه شد طلوع آفتاب
وه چه حالست این كه آن كافر زاستغناء حسن
صد سخن گرپرسش هرگز نمیگوید جواب
[ص ٣٢]

الحسن[١] » . ويقول : « أخشى من عينك إذ كلما أراك فى مكان يكون قلبى وروحى معك وأكون أنا فى حديث عن مكان آخر[٢] ».

---

(١) هر لحظه گونه سرخ مكن بهر قتل من
ای آفتاب حسن چنین آتشین مباش
(٢) ز چشمت می همی ترسم که می که بینمت جایی
دل وجان باتو ومن در سخن جای دگر باشم

[ص ٧٣]

المبحث الثالث

ديوان الشاه اسماعيل الصفوى

— ديوان الشاه إسماعيل :

يرى يوسف وزيروف المستشرق المعروف فى كتابه « ادبياتنه برنظره » أن الشاه إسماعيل الأول الصفوى قد نظم ديواناً باللغة التركية باللهجة الآذرية وأنه كان يتخلص فى شعره بلقب خطائى، ويتابعه فى هذا الرأى جمهور كبير من مؤرخى الأدب من المستشرقين أمثال بومباسى وبرتلس وربيكاوبراون وغيرهم ومن الإيرانيين أمثال فلسفى وسيد محمد رضا وغيرهما ، ومن حسن الحظ أننا وجدنا نسخة من هذا الديوان بخط سلطان على المشهدى ضمن مجموعة دواوين تحمل رقم ٤ — م مجاميع فارسى فى دار الكتب المصرية . ولعل من الأمور التى يقف عندها الدارس عند مطالعته لديوان الشاه إسماعيل هو التخلص الشعرى الذى اختاره لنفسه وهو خطائى والذى يشكك الدارس فى حقيقة نسبة هذا الديوان إليه رغم أن الشعر الوارد فى هـــذا الديوان يثبت أنه للشاه إسماعيل — كما سيرد فى هذا المبحث — ويتساءل الدارس : مادام هذا الشعر للشاه إسماعيل فلماذا لم يتخلص باسمه كما فعل سليم أو يتخلص بلقب يعرف به ؟ ولماذا اختار لقبا ينسبه إلى قبائل الخطا ؟ أهو جمالهم أم شجاعتهم أم انتماؤهم إلى العنصر التركى ؟ وماصلة الشاه إسماعيل بالخطائيين ؟

ومن المعروف أن الشاه إسماعيل الأول كان يدعى السيادة نظراً إلى انتسابه لآل البيت من ناحية والده وجده حيث يؤكد ذلك فى شعره حين يقول : « أنا الشاه إسماعيل لى الحق فى السيادة فإنى قائد كثير من الغزاة وأمى فاطمة وأبى على وأنا اتبع هذين الإماميين[1] » . وكان ينتسب إلى

---

(١) منهم شاه اسمـاعيل حقنك سرينم
كه مونجه غاز يلرنك سروريتم

حسن بيك آق قوينلو « اوزون حسن » جده من ناحية والدته ، ونسبة إلى قبائل آق قوينلو التركية من ناحية أمه لا يرقى إليه شك وهذه القبائل غير قبائل الخطا التى ترجع إلى أصل تركى ، وكانت قد استقرت فى الشمال الشرقى لإيران فى عهد الدولة السلجوقية واستطاعت أن تلحق هزيمة ساحقة بالسلطان سنجر الأول السلجوقى ، وقد صار الخطائيون يشكلون بعد ذلك عنصراً فعالا فى المجتمع الإيرانى ، ولاشك أنهم قاموا بدور إيجابى فى استقرار حكومة إسماعيل الأول الصفوى فى إيران مما يجعلهم على صلة وثيقة به ، وقد تدفعه هذه الصلة إلى أن يتخذ لقبه الذى تخلص به فى أشعاره نسبة إليهم ، ولكن هذا الإجتهاد عليه أكثر من علامة إستفهام إذ أن كثيراً من القبائل كانت على صله وطيدة به وليست قبيلة الخطا وحدها بل كان من بين القبائل من هى أقرب له من الخطا مثل شاملو واستاجلو وقاجار وهناك افتراض آخر ربما يكون أكثر قبولا من الافتراض السابق وهو أن الشاه إسماعيل قبل احتكاكه المباشر بالعثمانيين كان قد وصل فى فتوحاته إلى صحراء الخطا فى بلاد التركستان وأخضع هذه البلاد لحكمه وعقد مع أهلها معاهدة سلام تصبح بمقتضاها حدود الدولة الصفوية الشرقية ممتدة إلى مضيق الخطا ثم عاد بعد ذلك ليواجه العثمانيين ، وقد كان يباهى قبل وفاته بأنه استطاع أن يصل إلى صحراء الخطا ويخضع هذه المنطقة لنفوذه ، مما يجعل الدارس يعتقد أن هذه المنطقة تمثل قيمة خاصة فى نظر إسماعيل جعله يتخذ لقبه فى الشعر التركى منها ليباهى به العثمانيين .

آ م در فاطمه انم على در

بوادن ايكى امامنك پيرونم

[مقدمة كتاب زندگانى شاه عباس اول

المعانى الدينية فى شعر إسماعيل :

يدرك الدارس لديوان الشاه إسماعيل أن شعره ينطلق من إحساس واحد يحرك كل عواطف هذا الملك وأشجانه ويمده بطاقة لا تنفذ من الأفكار والأخيلة والتعبيرات ، وهو الإحساس بقيمة العقيدة الشيعية وسموها حتى ليمكن الدارس أن يحكم بأن الصبغة الشيعية قد شملت كل أشعار الديوان وربطت بين كل معانيه بل إن عمق هذه المعانى ارتبط بعمق العقيدة . على أنه من السهل على الدارس أن يدرك ثقافة الشاعر من خلال أشعار الديوان حيث أنها ـ فى الحقيقة ـ توضح اتجاه المعانى والأغراض فى الديوان بل تبدو هى نفسها مع كل بيت حواه الديوان .

ويستطيع الدارس أن يدرك أيضاً بسهولة أن ثقافة الشاعر الدينية كان لها الجانب الأكبر من الاهتمام بالنسبة للنواحى الثقافية الأخرى . فالشاعر يعرف القرآن معرفة جيدة يدل عليها طريقة معالجته المعانى القرآنية فى شعره واستشهاده بآيات القرآن الكريم والأمثلة على ذلك كثيرة نورد منها قوله : « أيها الحبيب إن سورة الشمس والضحى هى آية وجهك وإن سورة طه ويس هما تعويذه رؤيتك[1] » . وهو استخدام رائع لهذه السورة الجليلة حيث أقسم الله بالشمس وضحاها وأقسم بالضحى وهذا القسم يعطى للشمس مكانة حيث تذكر التفاسير أن الضحى هو الوقت الذى أسلم فيه سحرة

(١) دلبرا شمس وضحى آيت رخسارنكوز
آيت طه ويس سورهٔ ديدار نكوز
[ورقه ١٢]

فرعون ومادام وجه الإمام الحبيب فيه إشراق الشمس وسناء الضحى فلعل الله قد أقسم به لما له من مكانة عنده وهنا يجعل الشاعر هذا القسم مجازى بما يتناسب مع عقيدة الشيعة وكذلك فإن استخدامه لسورتى طه ويس كتعويذه لرؤية الحبيب الذى هو الإمام استخدام يدل على معرفة أكيدة بما يجمع هاتين السورتين حيث يورد المفسرون عند تفسيرها لأى من السورتين قول الرسول عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » . وهذا سبب جمع إسماعيل لهاتين السورتين فى معنى واحد بحيث يريد أن يضفى على وجه الإمام قدسية تجعل هاتين السورتين تعويذة لمن أراد أن يرى وجه الإمام خاصة وأن الرسول عليه السلام قد قال : « من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة » .

ومعنى هذا أن الشاعر ربما أراد أن يقول إن قرأ تلك السورة ابتغاء وجه الإمام غفر له وفى هذا إمعان لعلو قدر الإمام ، ويؤكد ذلك أيضا أن شهر بن جوشب قال فى تفسير يس أن أهـــل الجنة يقرأون طه ويس فقط[١] . ومن الأمثلة الأخرى التى تدل على قدرة الشاه إسماعيل على فهم القرآن ومعرفة أسباب نزوله قوله : « إن خطائى قد قرأ قدرة الله فى وجهك الذى هو سورة الأنعام ولم يكن الخلاص كل لحظة فى الله أكبر[٢] » .

---

(١) القرطبى تفسير القرطبى صـ ٥٤٤٦

(٢) يوزونكنى سوره انعام اوخيدى قدره الله دن
خطائى بولمدى هردم خلاص الله اكبر دن

فسورة الأنعام أصل فى محاجة المشتركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضى إنزالها جملة واحدة لأنها فى معنى واحد من الحجة وإن تصرف ذلك بوجوده كثير وعليها بنى المتكلمون أصول الدين وفيها قال الرسول عليه السلام : « نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض لهم ترتج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان ربى العظيم ثلاث مرات ثم خر ساجدا[1] » . ومن هذا الحديث الشريف تبدو قدرة الله مقترنة بنزول هذه السورة مما جعل إسماعيل يستشهد بها فى هذا الموضوع على قدرة الله . ويقول إسماعيل : « تكبر الكائنات بسورة الرحمن الذى بين لهم فى قوله علم القرآن[2] » . وقد خص الشاعر تكبير الكائنات بسورة الرحمن لأنه يعلم أن هذه السورة عندما تلاها الرسول عليه السلام فى صلاته سمعها الجن فآمنوا بالله وعلموها غيرهم وظلوا يرددونها وكانت الكائنات ترددها معهم ويقول إسماعيل : « إنه يجلس فى كل مكان كالبخور ياخطائى والملائكة ترتل فى السماء ياليتنى كنت ترابا[3] » .

---

(١) القرطبى : تفسير القرطبى ص ٢٣٧٩

(٢) كاينات سورت رحمن نه تكبير ايلاروز
كيم بيان علم القرآنه كلمش لردن اوز
[ورقه ٢٥]

(٣) هريرد اكيم او تور خطايى بخوروش
كوكده ملايك او خور ياليتنى تراب
[ورقه ٥]

وهو فى هذا البيت يرفع الإمام إلى مكانة عالية يحسده عليها الملائكة بل تتمنى أمام هذه المنزلة أن تكون قد خلقت من التراب حتى تنتسب إلى الإمام ولعل استخدامه لهذه الآية فى هذا الموضع يشير إلى اعتقاده بأن الشيطان وهو من أشار الله إليه بقوله « ويقول الكافر » يتمنى أن يكون ترابا وقد كان طاووس الملائكة فلا بأس من تأكيده بأن الملائكة هى أيضاً تتمنى ذلك إزاء حبها للامام .

ويقول إسماعيل : « إن قوله ما يذرون بغضب وقوله فى نار سقر يجعله محرم أسرار الله[1] » ويقول أيضاً : « فى صفحة جمالك الخط والخال وفى وجهك أيها الحبيب آيات القرآن[2] » .

إن هذا الاستخدام الرائع لآيات القرآن الكريم لاشك يدل دلالة واضحة على عمق تأثير القرآن فى نفسية إسماعيل وفهمه لمعانيه ومناسبات نزول الآيات والسور ثم استفادته منها عمليا فى التعبير السامى عن الخواطر والأحاسيس والانفعالات التى تعتمل فى نفس الشاعر وتحرك وجدانه وتهز كيانه مما يجعل لهذا الشعر قيمة معنوية بالإضافة إلى قيمة الأدبية ، ويبدو

---

(١) برقولينى ماتذرون خشم ايله فى النار سقر
برقولينى محرم اسرار ايدن پروردگار
[ورقة ٢]

(٢) جمالونك صفحـــه سينده خط وخالونك
يوزونكده آيت قرآن دوراى دوست
[ورقه ٦]

أن الشاعر قد وضع فى اعتباره ألا يكون ممن تصفهم الآية الكريمة القائلة : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون(١) » . فهو يربأ بنفسه أن يكون من الغاوين أو ممن يغوون ، وينأى عن الخوض فيما لا يعلم حيث لايقول إلا مايعلم وما يشعر وما يدرك صدق وحق فى مواجهة ماهو باطل وإثم وبذلك يكون من الفئة المستثناة من قوله تعالى إذ يقول : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً(٢) » وعلى هذا تكون المعانى القرآنية التى وردت فى شعره ليست شاهداً على ثقافته الدينية وإلمامه بالقرآن وفهمه لمعانيه فحسب بل هى تؤكد أيضاً رغبته فى أن يكون شعره شعراً إسلامياً نقيا خالصه يحركه فى ذلك إحساسه بأنه شيعى مخلص كما سيرد فى موضعه ، ومن أول الأمور التى يتوقف عندها الدارس فى الشاعر الشيعى هى نظرته للنبوة وهل كانت ثقافته اهتماما بهذا الجانب أم أنها تجعله فى ترجيحه لجانب الامامة يهمل أحاديث النبوة والواقع أن الدارس يلمس فى شعر إسماعيل احتراما وتقديراً لجانب النبوة فهو يستشهد فى شعره بالأحاديث القدسية عن رب العزة مثل قوله فى وصف النبى : « نزل الحديث القدسى كنت كنزاً فى وصفك والله هو الذى أقرك فى الأربعين بقوله كن فكان(٣) » . وقوله يستشهد بأحاديث الرسول:

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٢) سورة الشعراء آيه ٢٢٧

(٣) كنت كنزا آيتى وضعو نكدا او لميشدر نزول
واربعينه كن فكان اقرار يدن برورد كار

« أكرم الضيف هو حديث المصطفى وأنت يامالك القلب خير ضيف(١) ».

على أن الاستشهاد بأحاديث رسول عليه السلام لم يكن دليل الاهتمام بمقام النبوة واحترامها وتجليلها بل إنها لا تقاس بما ورد فى شعر إسماعيل فى مدح الرسول مدحاً يدل على عمق حبه واحترامه وتقديره لمكانته فى قلب كل مسلم حيث يقول : « الله اختار المصطفى من بين العالم وجعله أعلى مرتبة من جميع الأنبياء(٢) » .

وقوله : « إن عملى هو الثناء على ذاتك المباركة يانبى فاسمك شفاء لمرضى العصيان يانبى(٣) » .

وقوله : « منذ رأيت مصحف جمالك يانور الإله فإن ذكر عشقك دائما فى القلب ورد قرآن(٤) » .

---

(١) حديث مصطفى در اكرم الضيف
كونكل ملكنده خوش مهمان اولوب سن
(ص ١٥)

(٢) انبيا لارجمعينه يازدورون اعلى مرتبه
مصطفى نى قامورين فختار ايدك پروردكار
[ص ٢]

(٣) شول مبارك ذاتونكه ايشيم ثنادور يانبى
عاصيليغ بيمارينه اذونك شفادور يانبى
[ص ٢]

(٤) تاجمالونك مصحفينى كوردوم اى نور الله
ذكر عشقو نكك دلده مايم ورد قرآن دور منكا
[ص ٤]

وقوله : « لما كانوا لا يعرفون طريق النبوة الحق أيها النبي فهم كفار إلى الأبد من ذنوبهم والعذاب فوقهم[١] » . وإن كانت معرفته الوثيقة بالقرآن وأحاديث الرسول واحترامه لمقام النبوة وحبه وتقديره الجم للرسول دليلا على تدينه إلا أن شعره لا يخلو من أدلة أخرى على تدينه وإيمانه بوحدانية الله وقدرته وعظمته منها مثلا قوله : « هو الباقى الذى منذ القدم واجب الوجود يأمر فتكون الممتنعات له والممكنات[٢] » . وقوله : « لما كان ألمك ياخطائى أيها المتعب القلب لا علاج له فلربما جاءتك المساعدة من ذى الجلال[٣] » .

وقد استدعت تربيته وثقافته الدينية أن يلم بالقصص حيث وردت إشارات ذات قيمة فى شعره إلى الأنبياء بشكل يوحى بمعرفته لقصص هؤلاء الأنبياء ونذكر على سبيل المثال معرفته بقصة الإسراء والمعراج للرسول محمد عليه السلام فى قوله :

---

(١) چون سبك حقنك رسولى بليمد يلار يانى
اول گنه ون تا ابد كافر عذاب اوشنده در
[ص ٢٠]

(٢) باقى او دركه ديرانى واجب الوجود
فرمان دور انكا ممتنعات ايلا ممكنات
(ص ٥)

(٣) اى خطايى خشت دل چون دردننك درمانى يوخ
ثير درد اوله گركيم ذو الجلال اندن اننك
[ص ١٩]

« حاجبك ظل الله فى قرب الحضرة الإلهية وجمالك يزيد أيها الحبيب فى شمع الشروق[١] » .

وهو يشير إلى قصة سيدنا إبرهيم ويونس فى قوله : « الله يجعل النار روضة لإبراهيم ويدخل يونس فى سمكة بالبحر[٢] » .

وقد حظيت قصة يوسف باهتمام كبير عنده على عادة شعراء الفرس وكان يركز على جماله وحب أبيه فى قوله : « عندما كان يوسف عبداً وعندما كان سلطانا جعل الله يعقوب مريضاً بوجده[٣] » .

ويشير إليه بشكل آخر فى قوله : « أنا مثل يعقوب فى لوعتى فجمالك كيوسف كنعان أيها الحبيب[٤] » . والاشارات كثيرة فى شعـــر الشاه اسماعيل إلى يوسف وهناك إشارات إلى قصة سليمان مثل قوله : « إن

---

(١) قاشنك در قاب قوسين سبحنك ظل الهى در
زياد او لمشدر رجانا جمالنك خاوردن
[ص ٢٦]

(٢) يونس دريا ايچندة بيد ورون بر باليفه
آتشى ابراهيمه گلزار ايدن پروردگار
[ص ٢]

(٣) مصد ايچنده يوسفى بير قول ايكين سلطان كين
دردايلة يعقوب نى بيمار ايدن پروردگار
[ص ٢]

(٤) من اول يعقوبه لسبت زار بولدوم
جمالونك يوسف كنعان دوراى دوسته
[ص ٥]

قدمك على رأسى زينة الروح مثل النملة فى منزل سليمان(١) » .

ويشير إلى الخضر أو العبد الصالح الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى سورة الكهف وما نسج حوله من أساطير مثل حياته الأبدية وشربه من ماء الحياة وامتلاكه إياه مثل قوله : « إن الشراب المانح للروح كماء الحياة فى كأس النبى خضر كما فى المثل(٢) » .

ويشير إلى معجزات النبى عيسى عليه السلام فى قوله : « شفتك أيها المسيح الأنفاس مانحة الروح لحيـــاة الأمان ومعجزات المسيحيين هذه عجيبة(٣) » .

والشاه إسماعيل لاينسى إبراز معرفته بالتاريخ والأساطير من خلال إشارات ترد فى شعره منها ما يشير فيه إلى مرآة الاسكندر السحرية وإلى كأس جمشيد التى كانت تبدى له العالم فيقول : « حطم مرآة الاسكندر

---

(١) ايا غونك باشـد وعن غـه پيراى روح
بومور ايچـون سليمان منزلى دور
[ص ٦]

(٢) مانند جام خضر نبى در مثـــال ايلن
آب حيات ايچندا كه جان بخش ايدن شراب
[ص ٦]

(٣) جان بخشى ايمنش حيات لبنك اى مسيح دم
عيسى لاره كه عجب ميدان بو معجزات
[ص ٥]

وكأس جمشيد وأظهر الايثار للعالم سواء كنت شاباً أو شيخاً[١] » .

كما أنه يشير إلى معرفته بالفلك فى قوله : « لا تتبدى بوجهك الأبيض فى ذؤابة سوداء لأن العقرب منزله القمر المنير[٢] » .

فإذاً ما تجاوزنا الحديث عن ثقافته وتدينه إلى عقيدته الشيعية وجدنا المعانى تتدفق عميقة وسلسة صاخبة وهادئة فياضة وحنونة مما يجعلنا نميل إلى تصنيف هذه المعانى وترتيبها فى إطار تبدو منه صـــورة متكاملة للعاطفة المذهبية لدى الشاه إسماعيل فهو يعلن عن عقيدته الشعبية بإصرار وثقة ويباهى بها عن حب واقتناع فنراه يقول : « ركعت وسجدت لآله وشربت من شرابه القوى[٣] » .

ويقول : « المرتضى الذى سماه الله حيدر الكرار والاثنا عشر إماماً هم المقدمون على الأمم[٤] » وهو يوقن بصورة لاشك فيها أن حب آل البيت

---

(١) آيينه اسكندر وهم جام جم بودور
اظهار ايثار جهانى قيلور شيخى چون شاب
[ص ٥]

(٢) گسترمه آغ يوز دوندن قاره زلفى
كه عقرب ماه تابان منزلى دور
[ص ٧]

(٣) اكلوم سجـــده قلدم خاندانه
نوشى ايتدم ش بتندن يامانه
(ص ٢٠)

(٤) اون ايكى معصوم اماى پيش ايدن امت لده
مرتضى حيدر كرار ايدن پرورد گار
[ص ٢]

هو أساس الملك وأن عز الملوك من عزم وذل الملوك بالبعد عنهم حيث يقول : « أيها العبد لو أن ملجأك فى الدنيا آله فإن مقامك يا أحقر العبيد يكون مقام الملك(١) » .

وقد حظى الإمام على من الشاه إسماعيل بالنصيب الأكبر من الحب والثناء والمديح ولا غرو فهو الامام الأول للشيعة كما أن شخصيته الدينية والعسكرية قد بهرت الشاه إسماعيل وأعجبه صلابته وقوته ودفاعه عن الحق والعدل واتخاذ القوة سبيلا لدعم الاسلام وعزة المسلمين وهو إلى جانب ذلك حبيب الرسول وأخوه وصفيه وموضع سره وهو التقى النقى الورع الذي نزلت آيات القرآن مشيدة بصفاته وشيمه ونذكر هنا بعض الأمثلة مما قاله الشاه إسماعيل فى مدح الامام على . يقول : (هو الذى عرفته الآيات وهو على الحبيب للنبى فأنت المصطفى وهو المرتضى يانبى(٢)) .

ويقول : (أنا مقيم بقد الحبيب المستقيم وشفته الكوثرية وعتبته لى روضة دار السلام(٣) ويقول : (سال حوض الجنة فى الروضه جواهر وخائلا

---

(١) اى بنده گر جهانده پنا هناك اكه اوله
كمتر قولونك مقاى سنك يا وشاه اوله
[ص ١٦]

(٢) هم سينك نمريفنك ايتى هم على نبينك اوله حبيب
نيشه كيم سى مصطفى اولا مرتضى دور يانبى
[ص ٢٠]

(٣) والهم ببرقد طوبى لعل كوثر ياره كيم
آستانى روضـــه دار السلام در منم
[ص ٢٤]

وفى السلسبيل نسبة إلى ماء الكوثر[١] » : ويقول : « يامن فى جماله النور الالهى بالتمام وذكر صفاته فى فكرى دائماً فى الصباح والمساء[٢] » . لذلك يباهى إسماعيل دائما بتبعيته للامام على وولائه له من ذلك قوله : « ذكرى وفكرى كل لحظة فى سلطان العالم وخطائى غلام قمبر الذى هو عبده[٣] » .

وقوله : « يبذل خطائي المدام من ماء الكوثر فى المحفل فإن منبر ينقسب إلى ملك الرجال على[٤] » .

وقوله : « أيها الحبيب إنى أخفى قيد عشقك فى روحى وأريد أن أجعل حبك سلطانا على عرش الروح[٥] » . وقوله : « كل من يؤدى خدمة إلى

---

(١) حوض جبت دور جواهر دن دو گلمش روضه دن
سلسبيل ايچنده آب كوثرى نسبت اودر
[ص ٩]

(٢) اى إجمالنده سننك نور الهى در تمام
اول صفاتنك ذكر يدور فكرم هميشه صبح وشام
[ص ٣٠]

(٣) ذكر وفكرم هردم اول سلطان عام در منم
بوخطايي بنده اننك قنبرينه بير غلام
[ص ١٢]

(٤) بذل ايتار بزمه خطايى آب كوثر دن مدام
شاه مردانه على نينك منبرى اسبت لودر
[ص ٩]

(٥) دابرا عشقتكى بنده صاقلارم جانم كى
استرم مهر نيكى جان تختنده سلطانم كى
[ص ٢٢]

ملك فإن خطائى عبد الصدق وخادم الملك[١] » . وقوله : « كل من رأى وجهه فى الدنيا يكون ملك العالم وأنا اليوم سلطان أيضاً لرؤيتى وجهه[٢] » .

وإذا كان الشاه إسماعيل وهو ملك الصفويين وشيخ الطريقة الصفوية وزعيم فتيان القزلباش ينظر بهذا التقـــدير والحب والتواضع إلى الإمام فلاشك أن أتباعه من فتيان الصفويين ينظرون نفس النظرة إلى الامام بل إن إسماعيل يفتخر بأن جعل منهم شيعة حق وهو سعيد بولائهم للامام وحبهم له حيث يقول : « صار مائة ألف مغرمين بخال وجهك الوردى ياروح اللطف والاحسان[٣] » .

ويقول : « تراب قدمك تاج على رأس أهل الحق وجسمك دائماً فوق التراب ياخطائى[٤] » .

---

(١) وليادە هركيم قيلدر بير پادشاهونك خدمتين
بو خطايى بندە در صدقيله شاهنك چاكرى
[ص ٢٩]

(٢) دنيا دە هركيم يوزونك كوردى عالم شاهى در
تايوز وتكنى كورمشم من داخى سلطانم بوكون
[ص ٢٣]

(٣) كونكا جمع او لدى يور مينك درلدسوداى سياه
كل يوزونك اوستندە اى جان لطف واحسان اياردنمك
[ص ١٩]

(٤) اياغنك تبراغيدر حق اهلى تنك باشندە تاج
جسمى دايم خطايى تنك تراب اوستندە در
[ص ٢٠]

ولاشك إن مقدرته الفائقة التى أبداها فى تحويل إيران كلها من بلاد تدين بمذهب أهل السنة إلى بلاد تدين بالمذهب الشيعى الاثنى عشرى علامة على تميزه واستعداده القيادى إلا أنه يرجع كل ذلك إلى أبيه الذى كان له الفضل الأول فى إدخال المذهب الشيعى إلى الطريقة الصفوية وإلى جعل أتباع الطريقة غزاة فاتحين يحملون على أكتافهم مسئولية نشر هذا المذهب وإقامة دولة له لذلك كان على الشاه إسماعيل أن يذكر له هذا الفضل ويمدحه به حيث يقول : « فتح السلطان حيدر اوغلى الدنيا وتجاوز الغزاة الكون والمكان(١) » .

وواضح أن نظرة الشاه إسماعيل لوظيفته كملك لا تقتصر على حكم أتباع يؤمنون بالمذهب الشيعى بل هى قيادة لأتباعه إلى طريق إحياء المذهب الشيعى ونشره فى جميع أنحاء إيران ثم فى خارج إيران ما استطاع إلى ذلك سبيلا فالملك الدنيوى ملك زائل لا بقاء له ولكن الجهاد فى سبيل المذهب هو ماسوف يسجل فى تاريخه ويبقى له أبد الدهر حيث نراه يقول : « لا تغتر أيها الملاك الجميل الخادع بحسنك ولا تظن أن الملك الفانى يبقى لك أو لى(٢) » ويقول : « فليذهب باخطائى هذا العالم والمال والملك والعرش والجاه

---

(١) جهانى آجــدى سلطان حيدر اوغلى
غازى لار اوغرادى كون ومــكانه
[ص ٢٠]

(٢) اى برى شوخ عشوه حسنونكنه مغرور اولمه كيم
ملك فانى سايما كيل كه نى سنكاقا لدى منكا
[ص ٤]

ولا يذهب وجد عشقي من يدي(١) » . والشاه إسماعيل يتطرق فى أشعاره بأسلوب ذكى للحديث عن العلاقة بين التصوف وبين طريقته الصفوية وموقفه من هذه الطريقة كشيخ أمام مريديه فنراه يقول : « أنا خطائي اليوم فى الميدان أقرأ على الدراويش وصف السلطان(٢) » .

وهو يباهي أيضاً بأنه استطاع أن يجعل من هذه الطريقة الصوفية جماعة نشطة تركت الزهد والتقشف والعزلة والاعتكاف والخلوة كأسلوب للتصوف وبدأت تمارس الفتوة والجهاد تحت شعار واحد ورواية واحدة فكثيرا ما كان يشير خلال أشعاره إلى شعار الصفويين الأحمر الذى أشار الامام على على والده حيدر أن يتخذه شعاراً له وألبسه بيده فى المنـــام تاجا من نبات السقرلاط الأحمر ، ونورد هنا بعض الأمثلة على ذلك حيث يقول مشيراً إلى فتيان القزلباش وقدرتهم أمام أعدائهم . « يارب ما هذه الورود الحمراء الغضة لذلك الوجه جعلت الورد أسود والسوسن أخرس من الخجل(٣) » .

ويقول : « الورد الأحمر فى الحديقة ينتسب إلى وجهه ولذلك الخد روح

---

(١) بوجهانده كتسه كتسون وملك وتخت وجاه
ای خطایی غم همه سبحانم آلدن گتمسون
[ص ١٨]

(٢) خطايى ام بوكون ميدان ايچنده
شاهنك وصفى او خورم درويشـــانه
[ص ٢٠]

(٣) يارب اول چهرنك نه تازه ورد احمر درسنك
گل قررمش خجلتندن لال ايدر بدرسوسنى
[ص ٢٢]

كالزهرة الحمراء[(١)] » . ويقول : « يا بلبل الباكى لم تعد لديه طاقة غير لسانه فوردى الأحمر فى رياض هذه الدنيا من وجهك[(٢)] » . ويقول رائحته تشبه السرو المتدال فى الحديقة وخده مثل الورد الأحمر[(٣)] » .

وفيها يتضح معنى الاشارة إلى صلة السكون الأحمر بالامام الذى أشار على الصفويين بإتخاذ هذا اللون وهناك إشارات أخرى إلى اللون الأحمر ولكن ليس من ناحية الورد كما جاء فى هذه الأبيات بل من ناحية الخمر الحمراء القانية التى يرمز بها الصفويين إلى تعاليم الامام ونائبه لذلك فإن الخمر الصفوية ليست حراما فى نظر أتباع هـذا المذهب حيث يقول : « يا خطائى لا تقل على شرابه إنه حرام فإن وجهه مملوء بالرحمة الالهية لك[(٤)] » .

ويقول : « إملأ ذلك الكأس لنا أيها الساقى حتى الحافة ولينقص عمر

---

(١) باغچه ايچنده گل احمرنه نسبت وجهنك
اول يتگاغنك قاتنه جان لاله حمرانه در
[ص ١٨]

(٢) بلبل زارم ديلنـــدن ايرو طاقت قيلمزم
كيم يوزونكدن بوجهان باغنده ورد احمرم
[ص ٢٣]

(٣) بوبى باغ ايچره سروناره نبكرز
تيكاغى همچو ورد احمرى در [ورقه ٢٥]

(٤) اى خطايى ديمكل اننك شرابين سين حرام
سينه يوزرنك درلش الهنك رحمتى
[ورقه ٢٢]

من يقول أنها حرام هكذا(١) » . ولا غرو فانها لازمة لوجود المحبوب ولا تفارقه فهى خمر العشق فى المجلس المقدس ولا يترك الحبيب ذلك المجلس مادامت الكأس فى يده . حيث يقول إسماعيل : « مادئت دن الحب وكأسه بالشراب فلا تسقط صبح مساء من يد المحبوب فى المجلس(٢) » .

وأهمية هذه الخمر لا تنحصر فى ذلك فقط وإنما تتعداه إلى دور هام آخر فهى لازمة لتكاشف الحبيب والمحبوب واندماجهما حيث يقول إسماعيل : « جاءت الخمر الصراح إلى المجلس فرفع النقاب وجعل نورها المجلس شمساً ذهبية(٣) » .

ولعل هذا يجعلنا نتساءل عن معنى العشق فى نظر الشاه إسماعيل هل عشق صوفى يتضمن المعانى التى يعبر عنها الصوفية فى أشعارهم ورسائلهم وكتبهم وأحاديثهم ذلك العشق المتدرج خلال مقامات يكتسبها المريد مرحلة تلو أخرى وما يصادفه أثناءها من أحوال حتى تنتهى به إلى الفناء فى المعشوق أو الاتحاد معه أو الحلول فيه ؟ أم تراه العشق الواقعى الذى يعبر عن كل

---

(١) ساقيا اول جام سن دولدر تمامت سون بيره
عمرى نقصان أولسون اننك كيم كه ديرانى حرام
[ص ١٣]

(٢) بر شراب او لدى هميشه او سبو جام دوستكام
مجلس ايچره دوشمسون اول دوست الدون صبح وشام
[ص ١٢]

(٣) كالدى صراح مجلسه رفع ايلاميش نقاب
نور ايلادى مجلس زرين پرافتاب
(روقه ٤)

ما يحدث بين العاشق والمعشوق من لقاء وفراق ؟ من سعادة وألم من وصال وجفاء ؟ ولا يستطيع الدارس أن يرجح أي من الأسلوبين ارتضاه إسماعيل ليعبر من خلاله عن مشاعره وعواطفه فليست غزلياته من النوع الصوفى بالمعنى الذى ذكرناه ولا هى من النوع الواقعى وإنما هو ينظر إلى العشق من زاوية خاصة وجهته إليها عقيدته الشيعية فهو لا يعرف محبوبا غير الامام ولا يرى عشقا أسمى من عشق الامام لذلك نجده فى تعبيره عن مشاعره يؤكد أن العاشق الصادق لا يبالى بتفاصيل شكل المحبوب ولا نوع سلوكه ولا ظاهر عقيدته حيث يقول : « ليس لدى حاجة لبلوغ المسجد أيها الزاهد فوجهه وشعره وكفره وإيمانه سواء بالنسبة لى[1] » والعشق بالنسبة له هو الروح فى الجسد حتى وإن ضاعت روحه فيكفيه العشق . وما دام المحبوب معه فهو لا يبالى حيث يقول : « عشقك روح فى جسدى فلا ذهبت روحى من يدى وإذا ماذهبت الروح لا أحزن فلا ضاع حبيبى من يدى[2] »

وهو لذلك لا يرى من يفوق المحبوب حسنا ولا جمالا فى العالم كله ولا يرى من هو أكثر منه وفاء بين أهل الوفاء حيث يقول : « ليس فى العالم أحد فى حسن حبيبى ولا لدى الوفاء وفى مثلى[3] » .

---

(١) مسجده وارماغ حاجت ديديم أى زاهد منكا
روى ايله زلفى أونك كفر ايله ايماندور منكا
(ص ٤)

(٢) جان در جسمده عشقنك جانم اكدن كتمسون
جان كيدرسه غم دگل جانا نم الدن كتمسون
(ص ١٨)

(٣) بو خدر عالمده بيرده حسنله يارم كمى
يا وفا اهلنده كيم در أول وفادارم كمى
(ص ٢٢)

وهو لا يبالى فى عشقه كم يتحمل من الألم وكم يقاسى من البلاء حيث يقول : « لا أشكو أبداً من ألم عشقك ولا أطلب علاجا قط فهو الداء دائى[١] » . ويقول : ليس هناك أحد غيرك دواء لدائى وليس أيها الحبيب أجد غيرك فى فؤادى أيضاً[٢] » .

وهو يعلن هذا صراحة فى حين أنه يقاسى كثيراً من ظلم الحبيب وجوره وجفائه حيث يقول : « بقى لى من الحبيب الألم والبلاء فى الدنيا وهو ليس بلاء وإنما بقى لى الجور والجفاء[٣] » . كما أنه يقاسى كثيراً من الهجر بل أنه يتألم لمجرد تخيل المحبوب حيث يقول : « قلبى يتألم من خيال هجره فلى البكا والأنين عند بابه كل ليلة[٤] » .

ثم هو لا يبالى بطعن المدعين بل يعتبر ذلك دليلا على صدور عشقه وعمقه

---

(١) درد عشقينيكدين سينيك هرگز شكايت قيلمز
هيچ علاج ايتمان طلب يتوجرن كه درمان دورفكا
(ص ٦)

(٢) دلبرا دردمه درمان سندان اوز كا كيمسه يوخ
ياداخى گونگلو مدار مان سندان اوز گا كيمه يوخ
(ص ٦)

(٣) كيتى أول دلبر بسى درد وبلا قالدى منكا
بى بلا بلكه بوكوش جور وجفا قالدى منكا
(ص ٤)

(٤) هجرونك خيالى ايله تحيب وربوكو نكلومى
هرشب قابو نكذ ناله وافغان يتيا منكا
(ص ٤)

حيث يقول : « لا تظنني متأثرا من طمن المدعين فروح المحبوب داخلي[١] ».

على أن الدارس يلاحظ أن الشاه إسماعيـــل يركز في غزله على الوجه ويبدى به وبنظارة المحبوب إهتماما كبيرا حيث يقول : أيها الحبيب إن وجهك القمري شمس مضيئة لي وإن الماء الجاري في الحديقة هو ماء الحياة لي[٢] » .

ويقول : « أنظر نظرة باطف ياخطائي إليه فالله هو الذي يجملك مولها بوجه الحبيب في العشق[٣] » . ويقول : « من الحق أن ينظر لك دائما خطائي فعشقك يجعل الدنيا جنة رضوان لي[٤] » . ويقول : « أيها الحبيب علمت أن روضة الجنة في حسن وجهك وأن كل ما يأتى منك هو عين

---

(١) مرعى لا طعنة سيندان ساغا يكذ كيم من دوتوم
أو منوم ايچندا جان جاندوت منـكا
(ص ٤)

(٢) دلبرا أول أى يوزونك خورشيد تابان دورمنـكا
باغچه ايچنده اخارسو آب حيواندور منـكا
(ص ٤)

(٣) لطف ايله حوالينه قيلـكتل خطايى يك نظر
عشق ايچنده واله ديدان أيدن پرورد گار
(ص ٢)

(٤) اى خطائى چون سنـكا حق دان نظر دور دائما
عشقنك ايلان أول جهاننونك باغ رضواندورمنـكا
(ص ٤)

السعادة[١] » . وهذا ليس غريبا على عاشق شيعى فوجه الحبيب هو رمز لصفاء العقيدة وتتجلى فيه كل معانى الإيمان وفيه سمو الفكرة ونقاء الخيال وحمرة شعار الصفويين .

والواقع أن الشاه إسماعيل رغم ماعرف عنه من شدة وعنف إلا أنه كان يخفى بين جنبيه روحا فنانة تميل إلى الجمال وتهوى الطبيعة بكل مظاهرها ولوحاتها وكانت مناظر الطبيعة الخلابة تشده وتملك عليه حواسه فكان ينفعل بها ويترجم إحساسه وصفا رائقا بأسلوب جميل ولعله كان يفضل الطبيعة وقت الربيع لما كان يضفيه ذلك الفصل عليها من سحر وجمال وجاذبية تدعو إلى الانطلاق حيث يقول : « جاء موسم الورد وأصبحت الرياض محفلا وصار البستان والصحراء كلها زاخرة بشقائق النعمان الجميلة[٢] » .

ويقول : « ولى فصل الشتاء وحل عهد الربيع وصار المجلس مليئا بعجائب الزمان[٣] » .

ويقول : « جاء النيروز والربيع والعيد وعهد المحبة وصارت راحة

---

(١) دلبرا حسن رخنك گلزار جنت بيلمشم
هونه كيم سندن كيلورسه عين دولت بيلمشه
(ص ١٢)

(٢) موسم گل گلدى وگلشن يزبدى بزم ايچون
باغ وصحرا جمله سى خوش لاله زار اولدى ينه

(٣) موسم قيش گيتدى دور نوبهار ولدى ينه
مجلس گشته عجايب روزكار اولدى ينه
(ص ١٨)

الحبيب مليئة بالنور والنقش والحسن[١] » . والربيع مقترن بالبهجة والسرور والبعد عن الأحزان والنزهة فى الحدائق والجنان يقول : « افرح ياخطائى وأخرج من بيت الحزن اليوم فقد حل وقت الذهاب إلى الجنان[٢] » . وهذا مقترن أيضا بالمرح والانتعاش وشرب الخمر والنشوة حيث يقول : « أيها الساقى لقد حان وقت القدح فاملأ كأس الشراب فى اليد فقد صار البنفسج نشوانا والنرجس خمارا[٣] » .

والجمال يتجلى فى أروع صورة حتى إن الطيور تطرب لرؤية وجه جميل فتشدو بأعذب الألحان حيث يقول : « انظر بوجهك الوردى فيزيد غناء الطيور منها قد أصبحت البلابل بألف صوت بعد أن كانت بكماء[٤] » .

ومن ثم تكون المقارنة بين مظاهر الجمال الإنسانى ومظاهر جمال

---

(١) گلدى نوروز وبهار وعيد ودوردو ستكام
يار آيى نك پرنورى نقش ونگارا ولدى ينه
(ص ١٩)

(٢) أى خطايى شاد أولوب بيت الحزن بن چيق بوگون
باغ جنت سوينه وقت گذار أولدى ينه
(ص ١٩)

(٣) ساقيا دور قدح درالده [illegible] ونگل جام مى
كيم بنفشه مست اليب نرگس خمار اولدى نيه
(ص ١٨)

(٤) گل يوزونكنى گوريبى ارترفغان قوشلرنك
لال يكن بلبل لارى صوت هزار أولدى ينه

الطبيعة حيث يقول : « كانت أشجار السرو فى البستان تطاول قامتك فانظر ها هى أصبحت خجلى فانتحت جانبا[١] » . ويقول : « لئن أرادت البلابل أن تكون كل الرياض باكية فلن يكون لقلبى فى العالم روضة غيرك[٢] » والشاعر فى وصفه لا يرى للشتاء معنى وإن كان منظر سقوط الجليد هو أجمل منظر رآه فى الشتاء حيث يقول : « ثارت سحب أبريل وصبت أمطار الرحمة فانتثر الدر من السماء على المفلس التعب[٣] » .

وكان من الطبيعى أن ينهل الشاه إسماعيل وهو ينظم أشعاره التركية من اللغة الفارسية قدر ما يستطيع من ألفاظ وعبارات واصطلاحات فحفل شعره بها إلى حد كبير وقد ساعده على ذلك تلك اللهجة التى نظم بها فهو لم بالتركية العثمانية وإنما نظم بالتركية الآذرية وهى تلك اللهجة التى سادت إقليم آذربيجان وديار بكر وأرضروم بالإضافة إلى منطقة كرمان وكردستان وجيلان وهى لقربها من مناطق الفارسية تأثرت بها إلى حد كبير فى تعبيراتها

---

(١) قامتنك له بحث ايدروى وايما أول سروباغ
كور خجا لتندن انكا منزل كنار أولدى يته
(ص ١٢)

(٢) كر چه بلبل دقمو كلارين ايستر زار زار
سندن اوز كا كوت نكلمه عالمدا كلزار او لمسون
(ص ١٧)

(٣) ابر نيسان جوشه كلدى توكدى رحمت يغمورين
كوك يوزيدن بيسر يورينه نثار اولدى يته
(ص ١٩)

واصطلاحاتها وأخذت عنها كثيراً من الكلمات وكان من السهل على الشاه إسماعيل تعلمها حيث عاش فى مدينة أردبيل وتقع فى إقليم آذربيجان وعاش طفولته فى جيلان ثم إن مريديه ومن أحاطوا به فى صباه وعند قيام الدولة الصفوية كانوا من قبائل هذه المناطق لذلك كان من الطبيعى أن يتعين هذه اللهجة ويفضلها فى نظم شعره التركى على اللهجة العثمانية والتى وإن كانت قد أخذت من الفارسية إلا أنها لم تأخذ بنفس القدر ولا يسعنا إلا أن نعرض هنا نماذج توضح كيفية استفادة الشاه إسماعيل من اللغة الفارسية فى شعره حيث يقول :

كتارمه آغ يوز ونكدن قاره زلفى
كه عقــــرب ماه تابان منزلى دور(١)

ويقول :

دايرا تاكيل ينكا عنك گورمشم گلشنده مى
دم بدم دستان يله مرغ گلستان اولشوم(٢)

ويقول :

تا دود اغنك چشمه سيندن ايلادم ير قطره نوش
خضر تك شراب نوش آب حيوان اولشوم(٣)

---

(١) لا تقيدى بوجهك الابيض فى ذؤابة سوداء لان القمر المضىء منزلة العقرب (ص ٧) .

(٢) أيها الحبيب منذ نظرت إلى وجهك فى الروضة فقد صرت طائر الروضة بالقصص لحظة بلحظة (ص ١٨) .

(٣) منذ شربت من نبع شفتيك قطرة صرت شبيها بماء الحياة من رحيق شراب الخضره (ص ١٨) .

ويقول :

شربت هجر يله قيلمه دايما اغز منى تلخ
طوطيم لعلنك در قند ونبات شكرم[١]

ولا تبدو استفادته من اللغـــة الفارسية فى استخدام الـكلمات والاصطلاحات فحسب بل إنه قد برع فى التلميم والترصيع لذلك حفل ديوانه بالشواهد التى تؤكد ذلك وسنعرض هنا بعض النماذج بما يتسع له المجال حيث تفوق هذه الشواهد الحصر : يقول :

دفتر حسنو نـكده شوك حـــرف وخالونك سينك
سطر بسم الله الرحمن الرحيم او ليش دورور[٢]

ويقول :

قامتنك طوبى دورور نون والقلم دور قاشلار نيك
هذه جنات عدن امــــــل شكر بار نـكوز[٣]

ويقول :

---

(١) لا تجعل فى مرا دائماً بشراب الهجران فانى ببغاء بشفته سكر خالص (ورقة ٣٢) .

(٢) أن خطك وخالك فى صفحة حسنك هو سطر بسم الله الرحمن الرحيم « (ورقة ٨) .

(٣) قامته هى طوبى وحاجبيه نون والقلم وشفته الناثرة للسكر هى جنات عدن ، (ورقة ١٢) .

سوره والایل زلفڭ كوز لرڭ نعم البصر
ليك سبحان الذى اسرى درا سراء نكوز (١)

ويقول :

قل كفى بالله درذكر خطابى خسته ننك
حق بيلور كيم ثم وجه الله درديدار نكوز (٢)

ويقول :

بندكر لطف وكرم پيران نظردن سالكل
بوخطابى دستكيرى ليس لى حب سواك (٣)

ويقول :

خطابى خسته ننك دبو كلى مرادن حسبتةلله
كه خاك آستا نكده ايشيم دايم تمنادر (٤)

ويقول :

جمالنك هذه جنات درحق فاد خلوا فيها
تعالى شانه أكبر ينكامنك ورد أحمر دن (٥)

---

(١) ذؤابته سوره والليل وعينيه نعم البصر ولكن مسراه سبحان الذى أسرى « (ورقة ١٢) .

(٢) إن ذكر خطابى المتعب هو قل كفى بالله وأن من يعرف الله منثم وجه الله فى طلعته (ورقة ١٢) .

(٣) اجعل من كبر متخلصا من عبودية اللطف والكرم فهذا خطائى أسيرو ليس له حب سواك (ص ١٧) .

(٤) يقول خطابى المتعب إن كل مرادى حسبتة لله فإن سعى دائماً هو تمنى تراب عتبتك (ص ١٨) .

(٥) جماله هذه جنات والله يقول ادخلوا فيها تعالى شأنه الأكبر فى ورد خده الأحمر (ص ٢٦) .

ويقول :

بوخطایی یاریله قالوا بلی دم قلدی عهد
حق بیلور کیم برسو آن عهدواقرارم هنوز [١]

وقد سار الشاه إسماعيل على عادة شعراء عهده الايرانيين من استخدام لفظ سگ بمعنى كلب وما يتعلق بهذا اللفظ من مشتقات فى شعرهم إلا أن الدارس يلاحظ أن الشواهد على ذلك قليلة منها قوله :

آستانڭ ایتلارندن تا که بولمشم شرف
ای پری عشقیڭکله من مهر یله‌سگبانم بو گون [٢]

---

(١) تعاهد خطائى مع محبوبه فقالوا بلى والله يعلم إننى على عهدى وإقرارى حتى الآن (ورقة ٣٢) .

(٢) لقد وجدت الشرف من الارتماء على أعتابك أيها الملاك وإننى بعشقك أكون خادما للكلاب اليوم بحب » (ورقة ٣٢) .

المبحث الرابع

جوانب من الأعمال الأدبية الفارسية

لحكام الصفويين والعثمانيين

إذا كان ديوان السلطان سليم الأول العثمانى بالفارسية وديوان الشاه إسماعيل الأول الصفوى بالتركية الآذرية هما أبرز الأعمال الأدبية فى ظاهرة العلاقات الأدبية بين حكام الصفويين والعثمانيين فقد أفردنا لكل منهما مبحثا خاصا به ، ولكن هذا لا يمنع من دراسة الأعمال الأدبية الأخرى التى تمثلت فيها هذه الظاهرة فهناك الكثير منه ديوان السلطان سليمان القانونى بالفارسية ، وكذلك مذكرات الشاه طهماسب الأول الصفوى التى تتضمن كثيراً من العناصر التركية رغم أنها كتبت بالفارسية ، ثم هناك الأعمال الأدبية والمنظومات التى تتعلق بالملوك والحكام وأبرزها شاهنامه قاسمى كونابادى عن سيرة الشاه إسماعيل الأول الصفوى ، وشاهنامه سلطان سليم خان حول أعمال السلطان سليم الثانى العثمانى بالإضافة إلى شاهنامه سلطان مراد عن أعمال السلطان مراد الثالث وهى ماوصل إلى أيدينا من هذه الأعمال ولاشك أن هناك غيرها لم يكشف عنه البحث حتى الآن ولعلنا نجد المزيد فى المستقبل إذ أن هــــذا الإنتاج الأدبى قد استدعى وجوده الاحتكاك بين الصفويين والعثمانيين حيث حاول كل من شعراء الدولتين تمجيد حاكمه أمام الحاكم الآخر بذكر محامده وأعماله وبطولاته وصدق اعتقاده وما كانت ملاحم البطولة هذه لتظهر لولا هذا الاحتكاك وما كانت لتشتهر إلا مقرونة بهذه الظاهرة الأدبية ، ولعل الآثار الأدبية لهذه الظاهرة لا تتوقف عند نظم سير الملوك بل إنها تتعداها إلى إنتاج الشعراء أنفسهم فهناك من الجانب التركى العثمانى الشاعر فضولى البغدادى التى تمثلت هذه الظاهرة بحق فى إنتاجه ، وهناك الشاعر نفعى أرضرومى الذى يعتبر إنتاجه الشعرى هوالآخر أصدق مثال لهذه الظاهرة ، وهناك أيضاً الشاعر نابى الذى

تأثر فى نظامه بالفارسية قلباً وقالباً ، ومن الجانب الصفوى عدد لا بأس به من الشعراء الذين تأثروا بهذه الظاهرة وتمثل هذا الأثر فى إنتاجهم نذكر منهم على سبيل المثال لسانى شيرازى وعرفى شيرازى ونوعى خبوشانى وظهورى ترشيزى ومن بعدهم سحابى استرابادى وطالب آملى وصائب تبريزى وغيرهم وإن كان المجال لا يسمح لنا بدراسة إنتاج كل هؤلاء الشعراء وهو كثير حيث قصرنا بحثنا هذا على أعمال الحكام وما يتعلق بهم ، ولعل المجال يسمح بعد ذلك لدراستهم فى بحث مستقبل لاحق وحسبنا هنا أن نخرج بصورة متكاملة أو شبه متكاملة عن هذه الظاهرة فى الأعمال الأدبية للحكام .

أشعار السلطان سليمان القانونى بالفارسية :

أكدت المصادر المختلفة أن السلطان سليمان القانونى العثمانى قد نظم ديوانا من الشعر بعضه باللغة الفارسية وبعضه باللغة التركية العثمانية وأنه كان يتخلص فى شعره بلقب محبى ، وهناك نسخة خطية من هذا الديوان توجد بمكتبة ايا صوفيا الملحقة بمكتبة السليمانية تحت رقم ٣٩٧١ وقد كتبها يوسف بن درويش محمد بالقسطنطينية سنة ٩٧٣ هـ أى قبل وفاة السلطان سليمان بعام واحد حيث توفى سنة ٩٧٤ هـ ولعله قد أمر يوسف هذا بنسخ ديوانه ، ولما كانت الأشعار الفارسية قد كتبت أولا ووضعت فى أول الديوان ومن المرجح أن السلطان قد أشار بترتيبها على هذا النحو فإن الدارس يدرك مدى أهمية اللغة الفارسية والشعر الفارسى بالنسبة لهذا السلطان . أما لماذا اختار لقب محبى تخلصا له فهذا أمر يستطيع الدارس لشعره أن يتنبه فى سهولة ويسر فأشعاره سواء منها ما نظم بالفارسية أو التركية تعبر عن مضمون واحد هو

العشق ، لذلك لم يكن غريبا أن يتخلص سليمان بعجي ، كذلك يستطيع الدارس أن يدرك السبب فى أن ينحصر شعره فى هذا الغرض إذا نظرنا إلى تاريخ السلطان سليمان وصفاته ، فمما لاشك فيه أن والده السلطان سليم قد ترك جراحا لم تلتئم بعد من جراء غزواته القاهرة سواء فى الدولة العثمانية أو فى الولايات التابعة لها حيث كان سلوكه يقسم بالعنف والقهر إزاء ما يواجهه من تحديات ، لذلك كان على السلطان سليمان أن يخفف من تلك المحن والأحمال التى ألقيت على كاهل الشعب والرعيـــة الخاضعة لسلطانه فتذكر المصادر أنه قد استهل حكمه بما يدل على رغبته فى الحكم بالعدل والأخذ بيد المظلوم فقد سمح لستمائة من الصناع المصريين الذين قدموا إلى استانبول مع أبيه بالعودة إلى وطنهم كما منح جماعة من التجار مالا يعوضهم به عن بضاعة لهم صادرها أبوه ، وقد ورد فى رسالة منه إلى خير بك والى مصر قوله :

« لا تفرق بين أسير وفقير وبادر بامتثال الأوامر التى تأتيك من بابى العالى وتفهم معانيها ومراميها وعليك أن تحمى الكبار والصغار وأنت تحكم بينهم[1] » . مما يشير إلى أنه أراد أن ينشر الحب والسلام بدلا من العنف والحقد وليس أدل على ذلك من موافقته على معاهدة سلام مع الصفويين رغم أنه كان منتصراً ، وهو ما أشرنا إليه فى المبحث الأول ، فالحب والسلام كانا من الأشياء المفقودة فى عصر الفتوحات والتوسع مما جعله يتغنى به قولا وعملا ، حيث تذكر المصادر أنه الرخاء قد عم فى عصر سليمان وزاد العمران فارتفعت المآذن وشيدت القباب حتى أنه بنى خمسة وسبعين مسجداً كبيراً وتسعة وأربعين مسجداً صغيراً للعبادة والعلم ، كما بنى نحو ثلاثين حماما وسبعة جسور عدا عديد من الخانات والمستشفيات ويشهد جامع السليمانية الذى بناه

(1) Kocaturk OSmauli Padipshleri p. 107.

المعمارسنان على روعة الفن والمقدرة والعبقرية ، كما نشهد مكتبته بحب العلم والدين[١] .

كل هذا يدل على أنه كان من الطبيعى أن يتخلص بمحبى وأن يصبح الحب هو المعنى الأول والمضمون الأول فى شعره الفارسى والتركى على السواء وسنقصر حديثنا هنا على شعره الفارسى باعتبار أن شعره التركى لا يدخل ضمن إطار هذه الظاهرة .

العشق فى شعر محبى :

من الواضح أن أشعار السلطان سليمان القانونى الفارسية تؤكد على نظرته إلى العشق بمعنى أنه شرف وأنه غاية سامية والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها قوله : « حى الأحبة هو كعبة القلب والحجاج عشاقه وكل من يدخل هذه الكعبة لا يلبس غير كفن الإحرام[٢] » . وواضح فى هذا البيت أن الربط بين حى الأحبـــــة والكعبة ثم تشبيه المحبين والعشاق بالحجيج ثم التأكيد على أن ما يلبسونه ليس إلا ثوب الإحرام بل إن هذا الثوب هو كفن يحملونه ويتنقلون به تأكيد على سمو العشق وسمو مكانة الحبيب بل وإخلاص العشاق وشدة حبهم . ويقول محبى أيضاً : « لا تسمع من الغير

---

(١) كوى جانان كعبه دل حاجيان عشاق أو
هركه اين كعبه در آيد جزكفن احرام نيست

قصتي ! إسمعها منى فسر هذا العشق ليس قصة وخرافة(١) » ولاشك أيضا هنا أن نفيه أن يكون سر العشق قصة تحكى أو خرافة يتسامر بها الناس إنما هو من قبيل التأكيد على المعنى السامى للعشق وأسراره . ويقول أيضاً : « كل شخص يسعد قلبه بشىء يأتى وليس هدفنا إلا غزل العشق(٢) » .

وعلى هذا فهو لا يبقى سوى أمام سمو العشق هدفا غيره وغير التغنى به غزلا رائعاً لذلك هو لا يكف عن تلمس العشق كضرورة وحاجة ليصل إلى الكمال المنشود إذ يقول : « الزاهد يمنعنى عن العشق ولو أننى مجنونا دائما فماذا أفعل وليس لى غير هذا العمل(٣) ؟ » وإذا كان ارتباط العشق بالجنون واختلافه عن أمر الزهد وشأن الزهاد واضح فى هذا البيت فالشاعر رغم ذلك لا يجد له عملا أفضل من أن يحب ويعشق وهو يعلم علم اليقين أن طريق العشق ليس مفروشاً بالورود والأزهار والرياحين وإنما هو طريق كله ألم وتعب ونصب حيث يقول : « كل شخص يطلب شيئا من الزمان فالزهاد يطلبون

---

(١) مشنو ز غير قصه من هم زمن شنو
اين سر عاشقيست فسون وفسانه نيست
(ورقة ٣)

(٢) هركسى بحالتى دل خود خوش كند بجى
مقصود ما بجز غزل عاشقانه نيست
(ورقة ٣)

(٣) زاهداز عاشقيم منع كند گرچه مدام
من مجنون كه جزاين كار ندارم چكنم
(ورقة ٥)

ركن السلامة والمشاق طريق التعب[١] » وهو يخالف الزهاد فى مطلبهم من الزمان مخالفة شديدة ويرى فى مسلكهم عكس سلوكه فالزهـــد معناها الاعتكاف فى زاوية أو ركن بعيداً عن الناس والاعتزال بعيداً عن أذى الناس والزمان والأحداث فى حين أن العاشق لا يجد له طريقا غير طريق التعب والألم وأن عليه أن يتحمل هذا الألم وذلك التعب راضى النفس قرير العين ولكن العاشق يقف حائرا لا يدرى ماذا يفعل عندما يبلغ الألم مداه ويتجاوز حدود الطاقة حيث يقول : « ينبغى التحمل والصبر فى طريق عشق الحسان ولكن ماذا أفعل وليس لى إلا عين تبلى دما[٢] » . وقد يهون على العاشق أن يدرك أحيانا شيئا من الوصال والراحة فى قرب الحبيب وقد يسر العاشق لذلك وينسى ما ينتظره بعد هذا الوصال وذلك القرب فالهجر والجفاء يتربصان بالعاشق أن ينتهى الوصال ويذهب القرب ويأتى البعاد ومحى ويدرك ذلك كله ويعيه جيدا بل ويحذر منه حيث يقول : « لا تسر بالوصل ولا تقم فى الهجر أيضا إذ ليس لأحد قط راحة فى الدنيا بالسرور أو الحزن ، فالتدلل بطيب العمر يكون عندما يقترن بالبقاء فادرك الوقت يامحى فليس

---

(١) ميكند اندر زمانه هركسى چيزى طلب
زاهدان كنج سلامت عاشقان راه تعب
(ورقة ٥)

(٢) در ره عشق بتان طاقت وصبرى بايد
من كه جز ديده خونبار ندارم چكنم
[ورقه ٥]

على الأيام الاعتماد(١) » ومعنى هذا أن الحرمان فى العشق أمر مألوف بل إن التفكير فى الهجر وقت الوصال يفسد تلك السعادة التى يقترن بها الوصال لذلك يظل العاشق متعباً متألماً اعتاد الحرمان واعتبره أمراً مألوفا وطبيعياً حيث يقول محبى : « أين يمكن رؤية الوجه المحتجب عن ناظرى ولا يمكن أيضا رؤية خيال وجهك فى المنام ، لم ير أحد مارأيت فى وجدك وإلا فمؤكد مارآه شيخ كنعان دون وجه يوسف ، ومن أسف أنك لاتعلمين أن محبى متعب بدونك وما أكثر مارأى فى يوم وجدك وزمان هجرك(٢) » .

والمشكلة تصبح مستعصية الحل عندما يدرك الشاعر أن هدفه من الحياة ينبغى أن يكمن فى العشق ثم يرى أنه تائه فى صحراء العالم لا يدرى له حبيبا ولا يملك من ملك العشق شيئا حيث يقول : « إن وصل الحبيب يامحبى هو

---

(١) وصل را شادى مكن در هجرهم غمگين مباش
شادى وغم‌در جهان چو هيچكس را رام‌نيست
نازنين عمر خوش باشد اگر باشد بقاش
اى محبى وقت دريات تكيه بر ايام نيست
[ورقة ٣]

(٢) كجا توان ز نظر خود رخ پنهان ديد
خيال روى تودر خواب نيزنتوان ديد
نديد كس كه چه ديدم من از غمت ورنه
يقين كه بى رخ يوسف چه پير كنعان ديد
دريغ نيستى اگه كه بى توخسته محبى
چها بروز غم وروز گار هجران ديد
[ورقة ٤]

الهدف من كلا العالمين فماذا أفعل وليس لى حبيب فى ملك العالم[١] ؟ » .
والهجر أمر يتوقعه العاشق فى كل لحظة ويقبله إذ يقـــول محى : « أظل أكرر طوال الليل قصة هجرك فماذا أفعل وليس لى مؤنس غير الليل المظلم[٢] »
بل إن العاشق عندما يطول عليه الهجر يقنع بأن تكون رغبته فى الحبيب وتمنيه لقاءه عزاء له فى هذا الهجر ، يقول محي : «سلبت القلب فقدمت لك الشكر الجزيل فيكفينى تمنيك بالقلب والروح[٣] » .

وعلى هذا فإن حال العاشق إذا قيس بالموازين المادية عجيب ولا يرضى أحد والغريب أن العاشق نفسه يدرك هذا ويعترف به ثم يرضى بذلك ويقنع به ولا يرى له علاجا حيث يقول محي : « أنت عاشق ولست معشوقا يامحي وحالك سيء وغريب فى العشق وسيء الوضع وعجيب الأمر[٤] » .

---

(١) وصل يارست محى ز دو عالم مقصود
من كه در ملك جهان يار ندارم چكنم
[ورقة ٥]

(٢) ميكنم شب همه شب قصه هجران تكرار
مؤنس غير شب تار ندارم چكنم
[ورقة ٥]

(٣) دل بردى وتثار تو شد صد هزار شكر
مارابس است دردل وجهان آرزوى تو
[ورقة ٦]

(٤) محى عاشق ومعشوق نى وحال خراب
غريب عشقى وبد حالتى عجب كارى
[ورقة ٧]

ويقول : « لا يستطيع أن يفهم ألمنا إلا أهل العشق فليست أية ليلة قط أسود من نهار هجرنا[١] » .

وما دمنا قد وصلنا فى الحديث عن العشق إلى الهجر والحرمان فالحديث يجرنا إلى الخمر باعتبارها العنصر الفعال الذى يساعد على السلوى والنسيان ويقوى العاشق ويمنحه القدرة على احتمال الحرمان والصبر على الألم والحزن والبلاء والوجد ، وقد تحدث محبى عن الخمر وأبدى فيها رأيا غريبا حيث أعلن أنه لا يعتقد فى جدوى الخمر مع العاشق بل إن من لا يعرف العشق أحوج إلى هذه الخمر من العاشق حيث يقول محبى : « أيها الساقى إنك تصنع الخمر فاعطها لمن ليس عاشقا فإننى ثمل بالعشق فما حاجتى للشراب[٢] » .

ولعل فى هذا أراد أن يرد على الصفويين فى كثرة تحدثهم عن الخمر الصفوية وفائدتها وقيمتها لدى أتباع هذه الطريقة فيؤكد لهم أنهم لو كانوا يعشقون الله حقا فإنهم لا يحتاجون إلى مثل هذه الخمر ، فإذا كانت الخمر المادية محرمة بحكم الإسلام والشريعة نصا فما حاجة المؤمن الحق بالخمر المجازية وما جدواها ؟

وكما أن محبى يرفض الخمر فهو أيضا يرفض الرقص والسماع اللذان يعتبرهما

---

(١) درد ما نتواند فهم آورد جز أهل عشق
تيره تر از روز هجر مانبا شد هيج شب
[ورقة ٢]

(٢) ساقيا مى بكى ده كه ندارد عشق
مستم از عشق چه حاجت بشرا بست مرا
[ورقة ١]

الصوفية من الأركان الهامة فى الطريقة بل لعله يتجاوز هذا إلى أبعد منه إذ يؤكد أنه تصدر من محب ليلة وجـــد أفضل كثيرا من صوت العود والرباب ، حيث يقول : « الآنة التى تصدر من عرق الروح ليلة الوجد فى إثر حال يامحبى أفضل عندى من العود والرباب(١) » . على أن وصف المحبوب فى شعر الغزل أمر يقبله محبى حيث نظم كثيراً فى وصف محبوبه وأجاد ومن أمثلة ذلك تلك الغزلية التى يقول فيها : « يامن خجلت شمس الصباح من النظر إليك وقد سلبت شفتك ندى الصباح ببسمة مليحة ، يضىء من فتحة قميصك صدر كالفضة مثل ضوء يوم أبيض من نقاب الصباح ، رؤية الحسان وشراب الصباح يمنحان القلب الفراغ والعين الضياء ، إن مجنون جمالك لم يعرف بسبب ثمالة الخيال طعم خمر الليل ونوم الصباح(٢) » . ولعل الشاعر فى هذا لم يحاول وصف المحبوب بقدر رسم صور جمالية تجمع بين

---

(١) ناله كايد زرگ جان شب غـــم
از بى حال به از جنگ وربا بست مرا
[ورقة ١]

(٢) اى از نظاره تو خجل آفتاب صبح
لعات بخنده نمكين برده آب صبح
تابان ز جيب پيرهنت سينه چون سيم
چون روز سپيد از نقاب صبح
دلرا فراغ ميدهـــد وديده را فروغ
ديدار آفت پوشان وشراب صبح
ديوانه جمـــال توازمستى خيال
ذوق مى شبانه ندانست وخواب صبح
[ورقه ٢]

جمال الطبيعة وجمال الإنسان وهو من أجل هذا يعف فى وصفه ويجمل ، ويبدو أن محيى قد سار فى غزلياته على هذا النحو حيث يجد الدارس كثيراً من الصور الجميلة واللوحات الرائقة فى شعره فهذه صورة رائعة لا تقل فى جمالها عن الصورة السابقة حيث يقول : « طالما أشاهد وجه ذلك القمر مرة أخرى فأمهلنى أيها الأجل اليوم ويوما آخر ، ليست لى لذة فى العالم من مشاهدة شىء غير رؤية روضة جمال الحبيب ، أين تعلمت كل هذا الدلال إذن مادام ليس فى الدنيا جميل آخر مثلك[1] ؟ » .

ولقد فلسف الشاعر معنى الفراق وما يصاحبه من ألم فجعل الفراق مقترنا بالحزن والهلاك والموت حيث يقول : « تجاوز الحزن الحد وليس من يحزن لى احترقت ولا قلب لى ولا حبيب ، والعجيب أننى كثيراً ما ألوم نفسى لأنه ليس هناك من يشاركنى النفس غير أنينى ولوعتى ، لم يداو أحد جرح كبدى غير أنه لحق قلبى من الناس والأذى ، ومن أسف أن هلكت من أجل رفيق وألف خسارة أن مت من فراق الحبيب[2] » . مما يجعل الدارس يرجح

---

(١) تا كنم رخسار آن مه را تماشاى دكر
مهلتم ده اى اجل امروز وفرداى دكر
جز گلستان جمال دوست ديدن درجهان
نيست مارا هيچ لذت از تماشاى دكر
اين همه رعنائى آخر ازكجا آموختى
درجهان چون نيست مانند تورعناى دكر
[ورقة ٤]

(٢) زحد گذشت غم وه كه نيست غمخوارى
بسوختم كه نه دل دارم ونه دلدارى

أن العاشق عند محبي قد ارتبط بالفناء وأن هذا المعنى قد تأكد كثيراً خلال شعره من ذلك قوله : « مهما سعيت إلى الأمام فى طريق العشق إلا أنه ليس لهذا الطريق نهاية غير منزل الهلاك[1] » . وقوله : « أنا ذاهـــل بدونك واحترق بنار قلبي والحياة لى فى هجرك عذاب كالموت[2] » .

ويلاحظ الدارس أن أشعار السلطان سليمان قد حفلت بـكثير من الغزليات التي تدور فى إطار الغزل المجازى نذكر من هذه الغزليات على سبيل المثال تلك التي يقول فيها : « حينا ماتفقد عقدا من دلال حاجبيك وحينا ماتثير ذؤابتك العنبرية ، ماهذه الجرأة التي تقتل بها كل لحظة العشاق بفن الخداع مع كل شعرة ، لا تلق هذه القلوب المضطربة على الأرض ولا تقيد

عجب به بيش كه كويم ملامت خودرا
كه نيست همنفسم غير ناله وزارى
جراحت جكرم را نكرد كس مرهم
جواين كه بر دلم آن زمردم آزارى
شد هلاك دريغ از براى همدردى
هزار حيف كه مردم ز فرقت يارى
[ورقة ٦]

(١) چندانكه سعى بيش نمودم براه عشق
جز منزل هلاك درين ره كرانه نيست
[ورقة ٣]

(٢) بيخودم بى تو ودر آتش دل مى سوزم
زنده در هجر توچون مرده عذابست مرا
[ورقة ١]

الأروح بسلسلة الشعر هذه ، ماهذا البلاء ؟ لا أدرى ماذا أقول يارب عن تمايل حلو القد الجذاب هذا ، لو مت من عشق شمسك فأى عجب فمن لم يكن بروحه عبـــد الوجه الجميل ، إن قرى يطلب قتلك يامحبى فمر العين النرجسية القاذفة لسهام السحر[(١)] »

بقى أن نقول فى النهاية إن أسلوب التعبير فى شعر محبى أسلوب سلس تجنب تلك المحسنات اللغوية والبلاغية المعقدة التى تـكبل انطلاقة الأدب والتى تميز بها العصر الصفوى وليس هذا بغريب إذ أن أسلوب الأدب يخضع لسنة التطور فى كل بيئة يعيش فيها بنسب متفاوتة مع البيئات الأخرى فإذا كان شعر محبى لم يتجاوب مع تطور أسلوب الأدب فى العصر الصفوى فذلك

---

(١) كه گرهاز نى ازناز خم ابرو را
گاه آشفته كنى كاكل عنبر بورا
اين چه شوخيست كه هردم بفن عشوه گرى
قتل عشـاق دهى ياد سر هرمو را
مفكن اين همه دلهاى پريشان برخاك
بند جانها مـكن آن سلسله گيسورا
چه بلاهاست ندانم كه چه گويم يارب
آن خراميدن شيرين قـد دلجورا
گرمن از دوستى مهرتو مردم چه عجب
كيست گرجان نبود بنده رخ نيـكورا
قتل خود ميطلبد از تو محبى مه من
امر كن نرگس ناوك فـكن جادورا

مرجمه أن محبى سار فى أسلوبه الشعرى الفارسى على نمط الأسلوب التركى العثمانى حيث كان الأدب العثمانى ما يزال حتى ذلك الوقت محتفظا بسلاسته وبساطته وتفننه المادىء المقبول البعيد عن التعقيد، كما أن محبى قد تجاوب فى معانيه وخيالاته وصوره مع روح الأدب العثمانى وطبيعة البيئة العثمانية ولكن هذا لم يمنع محبى من أن يبدى مزيدا من التأثير بالأدب الصفوى بما تفرضه تلك العلاقة الأدبية بين الصفويين والعثمانيين فوجدنا السلطان سليمان يعارض فكرة الخمر الصفوية ويعارض نوع العشق الصوفى الذى تجلى فى شعر الصفويين وأن ينظم فى الغزل المجازى ويقدم مفهوما خاصا للعشق الإلهى الذى هو فى نظره أرقى من جميع صور العشق ، لقد ذهب فى تعبيره إلى أبعد من ذلك حيث وجدناه يستخدم لفظ سگ بمعنى كلب فى شعره الفارسى دون الشعر التركى ولكن استخدام هذا اللفظ لم يكن بالمعنى الذى ورد فى الشعر الصفوى حيث وجدناه يفطن إلى مفهوم اللفظ فى نظر الصفويين فينحو باستعماله نحوا آخر حيث يقول : « مادمت قد طردتنا من حيك مثل كلب فلا تدعنا مرة أخرى لأننا لم نكن قد جئنا إليك من تلقاء أنفسنا[1] » .

---

(١) چون سگ ز کوی خویش چو راندی مخوان دگر
ماچون بخودنه آمده بودیم بسوی تو
[ورقة ٦]

الأثر التركى فى مذكرات الشاه طهماسب :

ليس فى متناول الدارس من آثار الشاه طهماسب الأدبية غير أبيات متفرقة فى كتب الأدب والتاريخ وهذه المذكرات تنسب إليه ، والواقع أن مذكرات طهماسب كما يبدو من أسلوبها وثيقة الصلة بالشاه طهماسب فقد جرى ما فيها على لسانه وبأسلوب أقرب إلى أسلوب الملوك فربما يكون قد كتبها بنفسه أو أملاها على كاتب لم يذكر إسمه ، أو ربما كتبها أحد الكتاب على لسان الشاه ولم يتحدث فيها عن نفسه أو يبين شيئا عن شخصيته ولكن هذا من الاحتمالات المستبعدة ومن العجيب أننا لم نجد أى ذكر لها فى كتب التاريخ أو كتب التراجم أو كتب الأدب أو دوائر المعارف التى تحدثت عن الشاه طهماسب ، ولكننا وجــــدنا نسخة منشورة من هذه المذكرات جمعها سير وليم جونس ونشرتها الجمعية الأسيوية فى كلكتا بإقليم البنغال تحت رقم ١٣١٩ من السلسلة الجديدة . لذلك فإن الحديث عن هذه المذكرات يعتبر من باب الترجيح لا القطع وجهدنا هنا ليس فى التركيز على الأثر التركى على الشاه طهماسب فهذه قضية أخرى فليست فى حاجة إلى مايدعمها فقد ثبت هذا الأثر على الشاه رغم اتجاهه إلى النزعة الوطنية لإيران تحت راية الصفويين وإنما ستكون الدراسة حول الأثر التركى فى المذكرات المنسوبة إليه لأنها إنتاج أدبى يخصه وليس هناك دليل واحد على أنها ليست له .

وقد تمثل الأثر التركى فى هذه المذكرات فى أربعة نواحى هى : أولا : التواريخ التركية التى قرنها فى حديثه بالتواريخ الهجرية ، ثانيا : الكلمات التركية بما تشتمل عليه من أسماء وأفعال وردت فى المذكرات ، ثالثا :

الاصطلاحات الحضارية التركية التى استعملها رغم وجود ما يقابلها باللغة الفارسية ، رابعاً : الأبيات الشعرية التركية التى وردت خلال مذكراته النثرية . وسنورد الأمثـــلة الدالة على ذلك : أولا : استخدام التواريخ التركية : كثيراً ما كنا نجد الشاه طهماسب يهتم بذكر التاريخ الخاص بالأتراك قبل دخول الإسلام والذى ثبت بعد ذلك فى مكاتباتهم وكتبهم ومعاملاتهم وظل حتى يومنا هذا يرد فى كتب الأدب والتاريخ وإن كان قد قل استعماله فى الحياة اليومية والأمثلة على ذلك كثيرة منتشرة خلال المذكرات منها مثلا قوله : « توليت الحكم فى تاريخ سنة تسعمائة وثلاثين فى مساء يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب الموافق سنة « يوچى ئيل » التركية وكنت فى العاشرة من عمرى ، فقد ولدت فى السادس والعشرين من شهر ذى الحجة سنة تسعمائة وعشرين الموافق سنـــة « ايت ئيل » التركية[1] » .

ويقول فى موضع آخر : « وفى سنة « تخاقوى ئيل » أى سنة تسعمائة وإحدى وثلاثين ذهبت إلى مصيف سهند واوجان[2] » . ويقول فى موضع ثالث : « توجه إلى خراسان بجيش مجهز فى بداية سنة سيچقان ئيل أى سنة أربع وثلاثين وتسعمائة[3] » . ويقول فى موضع آخر : « وفى سنة پارس ئيل أى سنة ست وثلاثين وتسعمائة وصل بقية أمراء استاجلو مثل بدرخان

---

(١) الشاه طهماسب : مذكرات طهماسب ص ٢
(٢) المصدر السابق ص ٣
(٣) نفسه ص ١٠

ومثلث سلطان وحمزه سلطان أخو جايان سلطان الذين كانوا فى جيلان للمثول بحضرتنا فى قزوين[١] » .

وإذا تساءلنا ما الذى جعل الشاه طهماسب يقرن السنوات التركية القديمة بالسنوات الهجرية ؟ أدركنا أن من أهم الأسباب التى تجعله يفعل ذلك هو محاولته إثبات أن يرجع إلى أصل تركى ، ثم إن مساعديه من الوزراء والحكام وقواد القزلباش ورجال البلاط كانوا أتراك الأصل بل يرجح الدارس بالإضافة إلى ذلك أنه أراد أن يقول للعثمانيين أنه يعرف أصلهم وتاريخهم وأسلوبهم فى الحياة والتعامل والحساب بل والاعتقاد .

ثانياً : استخدام الكثير من الكلمات التركية : فقد استخدم الشاه طهماسب مراراً عـــدداً من الكلمات التركية فى مواضع تدل على معرفته الوثيقة بتلك اللغة ونورد هنا بعض الأمثلة على ذلك ، منها استخدامه لكلمة قشلاق بمعنى مشتى[٢] » وكلمة ييلاق بمعنى مصيف[٣] وفعل جانقى زدن بمعنى التأنى[٤] وكذلك جانقى كردن بنفس المعنى[٥] وفعل ايلغار كردن بمعنى الاهتمام[٦] وفعل وال كردن بمعنى أن يقوم به[٧] وكلمة دفيلة بمعنى

---

(١) نفسه ص ١٣

(٢) نفسه ص ٣ وغيرها

(٣) نفسه ص ٣، ١١ وغيرها ١٢٣ أو غيرها

(٤) نفسه ص ٣

(٥) نفسه ص ٣٣ و ٧٦

(٦) نفسه ص ١١

(٧) نفسه ص ١٢

الغلبة[١] وكلمة جـــلدوى بمعنى جائزة عظيمة[٢] .

ثالثاً : الاصطلاحات الحضارية : وقد استخدم الشاه طهماسب أيضاً فى مذكراته عددا من الاصطلاحات الحضارية مثل كلمة الـكا أو الـكاء بمعنى اقطاعية[٣] .

وكذلك استخدم كلمة خواندكار بمعنى حاكم أو سلطان[٤] وكلمة قورچى باشى بمعنى رئيس الحرس الملـكى[٥] وكلمة قورچيان بمعنى الحرس الملـكى[٦] وكلمة اوچى باشى بمعنى رئيس الطباخين الملـكيين[٧] وكلمة قزلباش بمعنى الفتى الصفوى وأحيانا بمعنى أمـــير فى الجيش[٨] وكلمة يوزباشى بمعنى قائد فرقة عسكرية[٩] وكلمة ايلچى بمعنى سفير[١٠] وكلمة ايلچيان بمعنى رسل أو سفراء[١١] وكلمة ايلچيـگرى بمعنى السفارة أو

---

(١) نفسه ص ١١
(٢) نفسه ص ٨١
(٣) نفسه ص ١٣ ، ٢٢ ، ٧٥ وغيرها
(٤) نفسه ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٧٤ ، ٧٦
(٥) نفسه ص ٣١
(٦) نفسه ص ٣٢
(٧) نفسه ص ٣٣
(٨) نفسه ٢٣
(٩) نفسه ص ٧٥
(١٠) نفسه ص ٧٦
(١١) نفسه ص ٧٦

الوساطة[1] . وغير ذلك من الاصطلاحات فى شئون الحكم والجند والزراعة وما إليها .

رابعاً : أبيات الشعر التركية : وكان طبيعيا أن يزين نثره الفارسى بأبيات من الشعر الفارسى وكذلك الشعر التركى الذى من نظمه أيضاً ونورد هنا فى هذا المجال بيتين من الشعر التركى كمثال على مانقول ، يقول الشاه طهماسب : « ليكن الحق عونك فى العالم ولتكن ذراعك الكريمة قاهرة فى الكون[2] » ويقول أيضا : « إننا لا ندير الحكم بهوى أحد فإننا لا ندير الحكم بالخطأ[3] » .

سير الملوك فى القرن العاشر الهجرى :

أولا : شاهنامهٔ قاسمى گونابادى :

هذه الشاهنامه نظمها شعرا قاسمى گونابادى فى أخبار الشاه إسماعيل الأول الصفوى وحروبه بمعنى أنه أراد تمجيد هـذا الملك أمام أعدائه من

---

(١) نفسه ص ٧٦

(٢) حق درجهانده مددگار اولنك
قوليسنه يمان كونده غمخوار اولنك
[ص ٣٢]

(٣) هوائى كيميه سلطانلق باشرمز
سلطانلق كه چو يانلق باشرمز
[ص ٧٧]

حكام الدولة العثمانية وتشير الشواهد التى حفلت بها هذه المنظومة إلى هذا الأمر ومادام المجال لا يسمح هنا بدراسة المنظومة دراسة كاملة حيث تحتاج إلى بحث خاص يعالجها فإننا سنكتفى بذكر أهم ملامحها وأهم الشواهد التى وردت فيها مما يجعلها ضمن آثار العلاقات الأدبية بين الصفويين والعثمانيين فقد بدأت المنظومة بالتسبيح والحمد ثم بالدعاء والتضرع ثم بمدح الرسول عليه السلام وذكر قصة المعراج ثم مدح الأئمة ابتداء بعلى بن أبى طالب الإمام الأول فالحسن والحسين فعلى زين العابدين ثم محمـــد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى الرضا ومحمد التقى وعلى النقى والحسن العسكرى ثم محمد المهدى ، ثم هو ينتقل بعد ذلك إلى مدح الشاه إسماعيل الأول مبينا منزلة الشاعر لدى الملك وإجادته النظم فى مدحه ومدى الكرم الذى يلاقيه منه ثم إنه قرر أن ينظم مثنوية تكون سجلا لأعمال ذلك الملك مثل اسكندرنامه الذى نظمها الشاعر نظامى الكنجوى لأن الشعر خالد أبد الدهر وهو علامة على حياة الملوك وعظمتهم متمنيا أن تليق هذه المنظومة بشخص الملك وسيرته ثم يعرج إلى مدح الوزير محمد ثم يتذكر آباء الشاه إسماعيل وأجداده فيعود إلى مدح السلطان حيدر الصفوى ويحكى كيف خانه والى شيروان فانتهى الأمر باستشهاده وكيف تولى الشاه إسماعيل مكان أبيه وكيف بدأ نجمه فى الصعود فغادر آذربيجان وجيلان وتوجه إلى عراق العجم وحارب يعقوب بيك وهزمه ثم أعلن عن رغبته فى فتح بلاد إيران ثم أرسل خطابا إلى مراد يدعوه إلى الدخول فى طاعته وينذره ولكن سلطان مراد غضب من هذا الخطاب ورد عليه بخطاب عنيف يعلن فيه رفضه لطلبه فخرج إسماعيل لمحاربته وتمكن من هزيمته وقتله ثم أعلن إسماعيل تفكيره فى فتح بغداد والشام ومصر فتمكن من فتح بغداد ولكن هجوم الأوزبك على كرمان وخراسان اضطره للعودة إلى خراسان ويقف الشاعر قاسمى كونابادى عند

هذا الحد من الاحداث ويختتم منظومته برسالة خمرية يعلن فيها نهايتها اختتام الكلام والكف عن النظم .

وإذا تتبعنا المعانى التى تشير إلى أثر الاحتكاك الصفوى العثمانى على الأدب نجد أنه رغم أن موضوع المنظومة لم يتطرق إلى بداية الاحتكاك السياسى أو العسكرى أو المذهبى بين الصفويين والعثمانيين إلا أنه يشتمل على كثير من المعانى التى حركها هذا الاحتكاك إلى اتجاه معين يخدم الغرض من حشد الطاقات لهذا الاحتكاك . فمنذ بداية المنظومة والشاعر يلح على المعانى التى تبدو منها جوانب الاحتكاك فنراه فى الحمد والتسبيح مثلا يتجه إلى إعلان أفضلية آل البيت وقربهم من الله أكثر من غيرهم حيث يقول : « ويعطى فانوس آل البيت لشمع الهلال من شفق الشهر والعام فى الليل البهيم[1] » . وكلمة آل هنا تحمل معنيين الأول هو آل البيت والثانى هو اللون الأحمر وهو شعراء الصفويين وسواء فسرنا البيت على المعنى الأول وهو تفضيل آل البيت على غيرهم من قادة المسلمين أو فسرناه على المعنى الثانى وهو اتجاه الشاعر إلى تفضيل الصفويين على العالمين ومنحهم هذه الميزة فالنتيجة فى الحالين واحدة .

وهو فى دعائه يرجو الله أن يجعله من الذين يعملون عملا يرضاه الله فإذا كان غرضه هو مدح الشاه إسماعيل وبيان مآثره فلا شك أن هذا فى نظره

---

(١) بشمع هلال از شفق ماه وسال
دهد درشب تيره فانوس آل
[ص ٣]

عمل من الأعمال التى يرضاها الله حيث يقول : « إجعلنى أميل فى الدنيا إلى عمل أحصل به على رضاك[١] » . والشاعر بعد أن يفرغ من مدح الرسول والأئمة يتجه إلى مدح الشاه إسماعيل الأول فيصفه بصفات توحى بمكانة هذا الملك الدينية والعسكرية التى تعلو على مكانة غيره من الملوك والحكام حيث يقول : « له روعة الإسكندر حاميـــا للدين فصفوف جيشه هى سد الاسكندر ، ولوجهه ضياء من جمال على وجماله وردة حديقة آل على[٢] » . وما يبرز هذه المكانة هو أن عظمته مستمدة من عظمة الإمام على وصفاته تنتسب إلى صفات هذا الإمام حيث يقول : « لم يكن فى رجولته ولن يكون غير على ، فسيفه يحمى العالم لو ظهر من يد الولاية ، فالجميع خدامه وأتباعه ولو كان فى الدنيا رستم لكان هو[٣] » . لذلك فإن الشاعر يكتب هذه

---

(١) بشغلى كنى درجهان مايلم
که از وی رضایت شود حاصلم
[ص ٨]

(٢) سكندر شكوهى كه دين پرورست
صف لشكرش سد اسكندر ست
رخش را فروغ از جمال عليست
جمالش گل باغ آل عليست
[ص ٢٥]

(٣) چواو بمردانگى دلى نبود ونباشـــد بغير از على
جهانراز تيغش حمايت بود نمود ار دست ولايت بود
همه زير دست وزبردست اوست
اگردر جهان رستمى هست اوست
[ص ٢٦]

السيرة له مخلدا إسمه حيث يقول : « أكتب سجلا فى أيامك بحيث يبقى إسمك إلى الأبد[١] » .

ولقد كان الشاعر يعلم علم اليقين أن العثمانيين قد سروا بمقتل السلطان حيدر فى حربه مع حكام الدويلات فى إيران لذلك فهو يركز فى هذه المنظومة على مدح حيدر محاولا بيان صفاته وصلته بالإمام على وآل البيت ومفلسفا إستشهاده على أنه واجب دينى وقومى وخدمة للاسلام والمسلمين حيث يقول: « له نفس صولة حيدر الممزق للصفوف لذلك سماه الفلك إسما حسنا هو حيدر، وقد اكتسب الملك والدين الرواج منه واحتاجت الرؤوس تقبيل قدمه ، فلقد اتخذ طريق آل البيت من جديد بهمته العالية وحظه العظيم ، فصار زعيم الدنيا وملكا عظيما ولكنه كان يزهو بدروشته ، ولقد كان هذا الملك الطاهر العقيدة مستعدا دائما فى سبيل الجهاد ، ولكن عندما يسكن معك العدو فى بيت واحد فالأفضل لك أن تترك البيت ، واحذر من قوم غرباء خاصة عندما يكونون معك فى بيت واحد ، هم فى الظاهر من جيش أحبائنا ولكنهم فى الباطن أعداء روحنا[٢] » .

---

(١) سجلى نويسم در ايام تو
كه باقى بود تا ابد نام تو
[ص ٣٢]

(٢) همان صولت حيدر صفدرش
فلك كرده نام نكو حيدرش
كرفته از و ملك وملت رواج
سرانرا بپابوس او احتياج

كذلك عبر الشاعر عن أمنية الشاه إسماعيل الصفوى فى أن يسخر إيران كلها تحت سلطته ونفوذه وهو من خلال ذلك يباهى بالشاه كملك واثق من نفسه قوى قادر يستطيع مواجهة المصاعب والتحديات ينطق بالحق والحكمة حيث يقول : « فى هذا الجمع أخذ الملك فى الحديث وكأنه بحر ينثر الدر ، قائلا إن لى رغبة فى هذه السنين الممتدة أن أطوف وجه الأرض ، وإن رغبة الاستيلاء على العالم فى رأسى سلبت الراحة من خيالى ، وعندما يكون السلطان عاشق مدمن للخمر يفقد بغفلته سلك الدولة من يده ، إننى لا رغبة لى فى لحن العود ولكن القلب يسوقنى إلى ضجيج الحرب ، وليس لنا رغبة من

بهمت بلند ودولت قوى
طريق نبى رو گرفته نوى
جهانرا سر وسرور شهريار
وليكن بدرويشيش افتخار
مقيم آن شهنشاه پاك اعتقاد
كمر بسته بودى براه جهاد
چو دشمن كند باتو همخانگى
ترا بهتر از خانه بيگانگى
حذركن ز قومى كه بيگانه اند
بتخصيص وقتى كه هم خانه اند
بظاهر ز خيل محبان ما است
بباطن ولى دشمن جان ما است

[ص ٤٧]

هذا العـــالم الملىء بالملذات غير الإسم فقط[١] » .

والشاعر يبين أن الشاه إسماعيل فى خطابه إلى الملوك يحذرهم من معاداته نظراً لبطشه الشديد وقوة بأسه ويرغبهم فى طاعته نظرا لكرمة ولطفه حيث يقول : « تواضع وتبين احترامه وتبين كذلك شهامته ولطفه العام ، فيصير لطفه شاملا لحالك ويضيء شمع اقبالك[٢] » . وقد نجح الشاعر إلى حد كبير

---

(١) در آن انجمن شاه دريا نشان
ز درياى لب گشت گوهر فشان
كه دارم درين دير ديرينه سال
تماشاى روى زمـــين در خيال
خيـــال جهانگيريم در دماغ
برداو سرم آرزوى فراغ
چو سلطان بود عاشق وى پرست
ز غفلت دهد سلك دولت زدست
نباشد تمنايم آواز چنگك
مرا ميكشد دل بغوغاى جنگك
زدولت درين عالم پرهوس
نداريم كامى بجز نام وبس
[ص١١٧]

(٢) تواضع كن واحترامش ببين
جوانمردى ولطف عامش ببين
شود لطف او شامل حال تو
فروزان كند شمع اقبال تو
[ص١٥٣]

فى التعبير عن عظمة الشاه إسماعيل خلال وصفه لإحدى حروبه مع سلطان مراد آق قوينلو حيث قدم لوحة حية لهذه المعركة تشهد بدقة الشاه إسماعيل ومهارته فى إدارة الحرب والقتال حيث يقول : « وضع قدمه فى ركاب الجواد وكأنه الكليم قد صعد أعلى الطور ، وقد وصف الشاه الأعظم من سليمان والاسكندر قلب الجيش وجناحاه، ودعم ميمنة الجيش وميسرته فوضع القواد على اليمين والسلاطين على اليسار ، وقد وقف فى الجيش أصحاب الثياب المدرعة والخوذات ، وقد جهز كل صوب بعـــدة الحرب وآلاف الصفوف من الحيات والنمور ، فاشتعلت نار الحقد يميناً ويسارا وعم طوفان الدنيا وامتلأ العالم بالشرار من حوافر الخيل والسماء بالغبار من تزاحم الفرسان ، فلم يكن نجم حظهم (الأعـداء) مساعدا ولم يبق السلطان ولا الجيش ، ووقع الأسود السراع واحد بالسيف والآخرين من السنان، وخرج قلب واحـــد من طعن السهام وغرق فى الدم من وخز الحراب مثل البرعمة[1] » .

---

(١) در آورد پا در رکاب ستور
کلیمی در آمد ببالای طور
سلیمان أساس اسکندر پنـــاه
برآراست قلب وجناح سپاه
یمین ویسار سپـــاه استوار
زخانان یمین وز سلاطین یسار
قبـــا آهنان مرصع کلاه
ستادند در قلب شاه سپاه
برآراست هرسو بآهنگ جنگ
هزاران صف از اژدها وپلنگ

ثم إن الشاعر أثبت رغبة للشاه إسماعيل فى أن يستولى على العالم العربى حتى يتسنى له نشر المذهب الشيعى فى كافة أنحاء العالم الإسلامى حيث يقول: « وبعد أن طاف بتلك الحديقة البديعة استقر فى رأسه الإستيلاء على ملك العرب ، أن قد تملكت بلاد العجم فلا غزو بلاد العرب، لقلبى رغبة فى مصر والشام فلأدخل هذين الصيدين فى شبا كى ، فلأقطف وردة من نخل حديقة مصر فأصبح ببهاء روضة مصر ، وأحتسى خمر السرور من كأس العشق حبا فى شفاه حسان دمشق ، فأخضع أهل بغداد وأحمل صقرى لصيد الحمام ، وأجرد السيف البتار قاصداً التماسيح فأجعل شط بغداد مواجا[1] . بل لقد

گرفت آتش كين يمين ويسار
جهان كرد طوفان نوح آشكار
ز نعـــل ستور وزگرد سوار
زمين پراشرار آسمان پر غبار
نكرد اختر بختشان ياورى
نه سلطان بجا ماند ونه لشكرى
در افتاده شيران چابك عنان
يكى از خدنگ آن دگر از سنان
يكى را دل از زخم پيكان فكار
بخون غرقه چون غنچه ازنوك خار
(١٦٩ - ١٧٥)

(١) فتادش پس از طوف انطرفه باغ
تمنـــاى ملك عرب در دماغ
بلاد عجم راشدم چاره ساز
بهر عرب مى برم تركتاز

أعلن الشاعر عن قيام الشاه إسماعيل بتنفيذ ما رغب فيه حيث قال : « لقد طوى الطريق صوب بغداد فاهتزت القبة اللاجوردية ، وعبر شط بغداد بسهولة كما يمر نسيم الربيع على وجه البحر ، فخضعت له تلك النواحى جميعها فصارت تلك البلاد بسببه موضع حسد دار السلام(١) » .

وبعد فهذه أمثلة يستطيع الدارس أن يفهم منها كيف أن الاحتكاك بين الصفويين والعثمانيين قد أثر فى اختيار موضوعات الأدب وخاصة الشعر واختيار طريقة التعبير وتوظيف المعانى والأفكار لهذا الغرض .

دلم را تمناى مصر ست وشام
که آن هردو صيدم درآيد بدام
گل چينم از نخل بستان مصر
شوم طوطى شكرستان مصر
كشم بادهٔ عشرت از جام عشق
بعشق لب مهـوشان دمشق
شوم أهل بغداد را چاره ساز
بصيد كبوتر برم شاهباز
بقصد نهنـگان تيغ تير
كنم شط بغداد درا موج ريز

(٢) بآهنـگ بغداد شد ره نورد
بلرزيد چون گنبد لا جورد
شداز شط بغدادش آسان گذار
چو از روى دريانسيم بهار
مسخر شدش آن نواحى تمام
شد آن ملك ازورشك دار السلام

[ص٢٢١]

شاهنامهٔ سلطان سليم خان :

هذه المنظومة مخطوطة بمكتبة توبكابوسراى باستانبول تحت رقم ٣٥٩٥ (ا) نظمت باللغة الفارسية فى مدح السلطان سليم الثانى العثمانى وقدمت إليه وتسمت باسمه حيث يقول المؤلف : « واجتهدت من بداية الشهنامة إلى نهايتها بتوفيق الله وسميت المنظومة باسم سليم خان[١] » . وذكر المؤلف أنه نقل معلوماته من السيد المحترم بعلو نسبه فيما وراء النهر وخراسان — كما يصفه — أبو الفضل بن مولانا حكيم الدين ادريس بن حسام الدين بدليسى جامع تواريخ آل عثمان ، ولكن يبدو أن المؤلف قد أتم المنظومة بعد وفاة السلطان سليم فعاد وقدمها إلى خزانة السلطان مراد الثالث العثمانى[٢] » .

وقد تضمنت هذه الشاهنامة الحديث عن الظروف التى أحاطت بنظمها حيث بدأ الشاعر فى نظمها سنة ٩٧٤ هـ عقب وفاة السلطان سليمان وتولى السلطان سليم الثانى حكم الدولة العثمانية فى عهد الوزير أبو الليث محمد الذى امتدحه الشاعر كثيراً لحفاظه على استقرار الأمور فى هذه الظروف ، ثم يذكر سبب تأليفه هذه المنظومة وأنها كانت إيجابا لطلب صديقه شمس الدين أحمد قراباغى[٣] . وقد قام فى بدايتها بعد التسبيح والحمد ومدح الرسول بمدح الخلفاء الراشدين فمدح أبا بكر الخليفة الأول الصديق[٤] وعمر بن الخطاب

---

(١) شاهنامه سلطان سليم خان : ورقه ٩ .

(٢) المصدر السابق ورقه ١٧

(٣) نفسه ورقه ٩

(٤) نفسه ورقه ٢٠

العادل(١) وعثمان بن عفان الزاهـد العابد(٢) وعلى بن أبى طالب أسد الله الغالب(٣) كا مدح وزراء الدولة العثمانية الذين عاصروه مثل أبو الليث محمد باشا(٤) وپرتاوباشا(٥) وأحمد باشا(٦) ومحمود باشا ومصطفى باشا(٧) .

وقد تناولت هذه المنظومة بالإشارة فترة حـكم سليم الأول وسليمان القانونى ثم تحدثت حديثا مفصلا عن فترة حكم سليم الثانى وبداية حـكم مراد الثالث على أنها تركزت على النواحى البطولية فى شخصيه هؤلاء الحـكام ويكفينا هنا أن نذكر مثالا من هذه المنظومة للدلالة على الاحتكاك بين الصفويين والعثمانيين وأثره على العلاقات الأدبية بين الدولتين حيث يقول الشاعر فى مدح السلطان سليم الثانى : « لو أن گيومرث قد حصل على رسم الملك فهو أنت حيث استولى اسمك على الجميع من السماء إلى قاع البحر ، ولو أن هوشنگ قد وجد النار فلقد لحقت النار روح عدوك بك ، ولو أن طهمورث قيد الشيطان فالشيطان الـكافر مقيد فى السفينة منك ، ولو صنع جمشيد الموشى لنفسه فأنت مانح التاج للعظماء ، ولو صارت الدنيا خربة بسبب الضحاك فقد عمرت الدنيا العتيقة بك ، وأهلك فريدون ثعابينه

---

(١) نفسه ورقه ٢١

(٢) نفسه ورقه ٢١

(٣) نفسة ورقة ٢٢

(٤) نفسه ورقه ٢٨

(٥) نفسه ورقه ٢٩

(٦) نفسه ورقة ٣٠

(٧) نفسه ورقه ٣١

ومزقت أنت صفوف العدو فى قونيه ، ولو أن تور وايرج كان يتعاركان فلقد أنقذت أنت الدنيا من الفتنة ، ولو أن طهماسب هذا قد صار ملكا على إيران كلها بالصلح ، فإن طهماسب يرتعد بروحه من صلحك ولو تقدم على الحرب يفر منك ، أنا مادح آل الرسول من العثمانيين بأنفاس الصحابة الأربعة ، والعراك مع العدو من شأنى فقلمى فى كفى هو سيفى ذو الفقار[1] ».

---

(١) كيو مرت اگر رسم شاهى گرفت
توبى نامت ازمه بماهى گرفت
نمود ارچه هوشنگ آتش پديد
بجان عدو از تو آتش رسيد
ز طهمورث ارديو شد در كمند
زتو ديو كافر بكشتيست بند
اگر ساخت جمشيد خود دزره
ابر خود پوشان توبى تاج ده
زضحاك ويرانه گشت ار جهان
جهان كهن از توشد آبادان
فريدون نمود اژدهاش هلاك
صف خصم كردى تو در قونيه چاك
اگر تور وايرج بهم تاختى
جهانرا تو از فتنه پرداختى
واين طهماسب باصلح اگر
بايران شهنشاه شد سربسر
ز صلح تو طهماسب لرزد بجان
وگر جنگ جوبى گريزد روان

شاهنامهٔ سلطان مرادخان :

هذه المنظومة مخطوطة فى مكتبة توبكابوسراى باستانبول تحت رقم ٢٠٠ (ب) نظمها علاء الدين منصور شيرازى وأكملها سيد حسين الأرموى سنة ١٠٠١ هـ — ١٥٩٢ م بخط أبو الفضل محمود بن محمد القاضى بعساكر الروم « الجيش العثمانى » وهنـــاك نسخة أخرى منها فى مكتبة جامعة أستانبول . وتتناول هذه المنظومة حياة السلطان مراد الثالث العثمانى منذ ولادته فى جزءين يتوقف الجزء الأول عند سنة ٩٩٠ هـ — ١٥٨٢م ويتناول الجزء الثانى الأحداث من هذه السنة حتى سنة ٩٩٦ هـ ـ ١٥٨٨ م .

وقد استهل الشاعر منظومته على عادة الشعراء فى ذلك العصر بالتسبيح والحمد ومدح الرسول ومدح الخلفاء الراشدين ، وكذلك آل البيت ثم يورد المقدمات فى فضل العقل واختلاف الملل ووصف الشعر والشجاعة والمبارزة وتعريف العلم وأدوات الحرب من قوس وسهم وجواد وسنان وغير ذلك ، ثم يتناول موضوعه الأصلى بالتفصيل الدقيق والوصف الأخاذ ، ولا يعنينا من هذه المنظومة إلا صلتها بالاحتكاك الصفوى العثمانى وتأثرها به وتأثيرها فيه لذلك نورد منها مثالا يمكن أن يفهم الدارس منه أن هذه المنظومة

من آل رسولم تمايم شعار
بعثمانيـــان اردم چاريار
ستيزه بخصم توكار من است
قلم در كفم ذو الفقار من است

[ورقة ١١ — ١٢]

يمكن أن تعد من الأعمال التى نتجت عن العلاقة الأدبية بين حكام الصفويين والعثمانيين حيث يقول الشاعر فى وصفه لمعركة وقعت بين قراول باقوره لى وجيش القزلباش الصفوى : « اضطرب أولئك القوم الحقراء مثل طيور خافت من الصقر يوم الصيد ، ومن شدة الجبن الذى فى صفوف العدو شردوا وانزووا سريعاً فى ركن ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يحارب بالباطل ، وأسرعت زمرة الفدائيين بصياح الحقد من اليمين واليسار ، فوصلوا والتحموا جميعاً بالعدو وضربوا بالحراب والفئوس جبل الحديد ، واستلوا سيوف الحقد من الغلاف وأطلق الأجل فى المعركة صيحة الموت ، ونفض الزمان يده من الحرية فقد صار شأن السلامة ضعيفاً ، وحمى وطيس القتـــال بشدة وصار قماش الحرب الثقيل رخيصاً ، ووقع زعيم القزلباش تحت الأقدام مثلما يسقط ورق الخريف الأصفر والأحمر من الرياح ، وطويت صحيفة عمر العدو ولم يبق أثر من آثار الخصم وأطواره ، وقد أخذ أهل الفساد العبرة منه أن هذا جزاء الكبر والعناد[1] » .

---

(١) پريشان شد آن قوم بى اعتبار
چو مرغان ز شاهين بروز شكار
ز بس بيدليها كه در خصم بود
رميدند وكنجى نهفتند زود
وازان جمله يكفرد جرأت نكرد
كنـد با طلانه ستيز ونبرد
بآهنگ كين زمرهٔ جان سپار
شتابان شدند از يمين ويسار
رسيدند ويكسر بدشمن زدند
تبر تيشه بركوه آهن زدند

. . . .

کشیدند شمشیر کین از غلاف
اجل نعره مرگ زد در مصاف
زمانه ز آزادگی دست شست
که کار سلامت روی گشت سست
بلختی بشد گرم بازار جنگ
شد آرزان قماش گران بار جنگ
فتاده سر سرخسر زیرپای
چو برگ خزان سرخ وزرد از هوای
شده طی طومار اعمار خصم
نشانی نه ز آثار واطوار خصم
گرفت از وعبرت أهل فساد
که اینست پاداش کبر وعناد
[ورقة ١٠٨]

الفصل الخامِسُ

الرسائل الفارسية

المتبادلة بين الصفويين والعثمانيين

رسائل إسماعيل وسليم

كانت رسائل الشاه إسماعيل الأول الصفوى إلى السلطان سليم الأول العثمانى تتسم بمحاولة إبراز القوة ، وقد أدى هذا بدوره إلى أن تخلو من المقدمات والديباجة الطويلة وتكاد تخلو من كلمات المجاملة التى لا تخلو منها رسالة قط سواء كانت ودية أو ديوانية ، كما استتبع ذلك أن تكون سريعة الإيقاع شديدة العبارات ، صريحة المعانى واضحة الهدف ، وهذه السمات لم تتغير منذ اتصال إسماعيل بسليم قبل وبعد موقعة چالدران ، وإن كان ينبغى لإسماعيل أن يغير من أسلوب رسائله بعد هزيمته فى موقعة چالدران ، إلا أنه لم يفعل بل تمادى فى هذه اللهجة .

ولا يلمس الدارس أثراً للانكسار والهزيمة فى رسائله إلى السلطان سليم بعد هذه الواقعة وكان هذا مفروضا أن يحدث ، ولكن يبدو أن انسحاب السلطان سليم السريع من تبريز وعودته إلى أستانبول كان له أكبر الأثر فى رفع معنويات الشاه إسماعيل واحتفاظه باتزانه وعدم تغييره فى أسلوبه .

وليس أدل على ذلك من تلك الرسالة التى أرسلها السلطان سليم على أثر محاصرة سليم لقلعة ورساق وفشله فى اقتحامها ومقتل الوزير الأعظم السلطان ، وانسحاب الجيش العثمانى إلى أستانبول .

ويقول فى هذه الرسالة : « كلما تعاملت معك على سبيل المداراه يخيل إليك أننى أخافك[1] » .

---

(١) « هرچند ما باتو ازروى مدارا شرمى كنيم شمارا گمان آن است كه من از تو مى ترسم » عالم آراى صفوى ص ٥١٢

وفي نهاية الرسالة يقول : « عندما ستتطاول بيدك أو برجلك ، وعندما يصلني الخبر فسوف آتي هذه المرة ، ولن يكون لك أمل في الخلاص والسلام(١) » .

وهذه من العبارات الخشنة التي دأب الشاه اسماعيل على استخدامها عند كتابته للسلطان سليم ، وهي تذكرنا بما قاله من قبـــل للسلطان سليم عند توجهه إلى إيران لمحاربة الصفويين ووصوله إلى صحراء چالداران . حيث قال له :

« إن شاء الله تعالى سوف أنزل على رأسك ، ماسيروى بعد هذا في القصص(٢) » . وكذلك قوله في رسالة أرسلها بعد وفاة السلطان بايزيد ، وتولى السلطان سليم عرش العثمانيين : « الآن وقد وجدت ريح النخوة طريقها إلى رأسك ، فإنني إن شاء الله تعالى سوف أقطع رأسك غير المبارك بقوة ساعد فاتح خيبر أمير المؤمنين عليه السلام(٣) .

وإذا نظرنا إلى رسائل السلطان سليم التي وجهها إلى الشاه إسماعيل

---

(١) چون دست درازى ياپا درازى خواهى بكنى چون خبر برسد بمن اين مرتبه مى آيم وديگر اميد رهائى نخواهى داشت والسلام .

عالم آراى صفوى ص ٥١٣

(٢) « ان شاء الله تعالى كارى برسرت بياروم كه بعد ازاين در داستانها باز گويند »

عالم آراى صفوى ص ٤٧٦

(٣) « وحال شمارا كه باد نخوت در دماغ راه يافته است ان شاء الله تعالى سرنا مبارك شمارا به زور باووى خيبر گشاى حضرت امير المؤمنين عليه السلام برداشته .

عالم آراى صفوى ص ٤٧٢

بالفارسية نجد أنها على عكس ما يتوقع الدارس من أنها سوف تكون شديدة اللهجة عنيفة الأداء استناداً إلى تلك القوة الفعلية المادية والمعنوية التي يملكها السلطان سليم الأول. فكان سليم يحاول أن يبدو هادئاً متزنا مقنعا يضع النقاط على الحروف مبتعداً عن العنجهية والصلف، وإن كان في نفس الوقت يبدو متمسكا بحقه، مترجما أ- اله إلى أفعال وتصرفات، وليس أدل على ذلك من خطابه الذي وجهه إلى الشاه اسماعيل الأول يطالبه بتسليم ابن أخيه احقاقا للحق والعدل، وأن ما يحدث في البيت العثماني إنما هو مسألة داخلية خاصة، ولا يحق لأجنبي التدخل فيها حيث يقول:

« لما اهتممت بأمر أخي وفر ابن أخي من عظمتي وأتى إليك، فإنه على كل حال ينبغي أن ترسله إلينا مقيد اليدين والقدمين وطوق الخضوع في رقبته، وأن تقصر يدك أيضاً عن دياري وأن تبعد أتباعك عن تلك الديار حتى لا يكون بيننا وبينك حرب أو صدام، ويتبدل الحال إلى صداقة ومودة وإن تفعل غير هذا إستعد للحرب(١) ».

فصيغة الخطاب هنا ذات نبرة عاقلة متزنة تطالب بحق ولا تبغي حرباً أو جدالا أو نزاعاً، وإن كانت لا تفتقر إلى القوة والحسم اللذين يجعلان

---

(١) چون از کار برادرم برداختم وبو آدر فراره ام از پیش شکوه مافرار نموده نزد تو آمده است بهر حال می باید اورا دست بسته وپالهنگ درگردن کرده به خدمت بفرستی وخود نیزاز دیار بکرکوتاه ساخته کما شتگان خودرا از آن بلاد ودیار بدرکنی غیر از این کنی بس آماده جنگ باش ».
عالم آرای صفوی ص ٤٧٢

من الكلام موضع اهتمام وتفكير من الطرف الآخر ويدفعه إلى أن يقدره حق قدره ويعمل حسابا له . كذلك فإن السلطان سليم يحاول أن يبدو فى رسائله كمن لايفقد صبره ولا يندفع ولا يتهور بل إنه يحذر ثم ينذر ويهدد، وبعدها فإنه يحسم الأمر بالقوة ، وهو حتى آخر المدى حريص على السلام غير راغب فى الحرب .

وليس أدل على ذلك من الخطاب الذى أرسله بعد أن وصل إلى صحراء چالداران ، إلى الشاه اسماعيل طالباً للمرة الأخيرة أن يسلم إليه ابن أخيه ، ويوقف تعديه على أملاكه وأنه على استعداد للعودة بجيشه إلى بلاده ، وإلا فسوف يقع اللقاء حيث يقول :

« لقد أرسلنا رسولا ثلاث مرات ، وأخبرناك أننا لا نهاب حربك وقد نزلنا الآن فى ارزنجان ، وأرسلنا إليك محمد چاوش حتى يخبرك أنه إن كانت لديك فكرة فنفذها ، وإذا كنت تميل للهوى والتمتع فقد أعززت السلطان مراد ابن أخى فأرسله إلينا فإن لم يرض بطيب خاطر فقيده بالقيود والسلاسل والأغلال وأرسله وترفع أنت أيضاً يدك عن أملاكنا الموروثة حتى تستقر بيننا تلك الصداقة القديمة ، وإلا فإن موعد الحرب بينى وبينك فى تبريز ، فاخبر محمد چاوش بردك ، وما تقبل وترضى من أى الأمرين ، وأرسله لنا سريعاً فإننا فى انتظار الرد[1] » .

---

(١) « ماسه مرتبه كس فرستاديم وشمارا خبردار كرديم كه ما ارادهٔ جنكك تو داريم والحال در ارزنجان فرود آمده بوديم كه محمد چاوش را فرستاديم كه شمارا خبر دار سازدكه اكر فكرى داشته باشى بكنى واكر چنانچه ميل فراغت وعيش دارى پس سلطان مراد برادر زادهٔ مرا دلدارى داده

وهناك استثناء واحد من هذه القاعدة وهو رسائله التى كانت تتناول الدين والمذهب حيث كان أسلوبه يقسم بالشدة والعنف والقوة عندما كان يرسل رسالة إلى الشاه اسماعيل يلومه فيها على عمل لا ترتضيه روح الإسلام مثل نبش قبر الإمام أبى حنيفة وحرق عظامه ودفن كلب مكانه ، أو عندما كان يدعوه إلى ترك مذهب الشيعة والدخول فى أهل السنة والجماعة ، وإن دل هذا على شىء ، فإنما يدل على مدى تعلق السلطان سليم بالمذهب السنى وإيمانه به وتعصبه له .

وقد ذكر د . ثابتيان فى كتابه اسناد نامه هاى تاريخى واجتماعى دورهٔ صفوية أن رسائل السلطان سليم إلى الشاه اسماعيل كانت تشير إلى مدى الحقد والعداء الذى يشعر به تجاه الصفويين والذى استتبع أن ينتهج سياسة خشنة وسلوكا عدائيا ضدهم ، بل إنه حاول أن يستفزهم فى رسائله واستشهد على ذلك برسالة كتبت فى شهر صفر سنة ٩٢٠ هـ يظهر فيها الطعون التى يطعنها السلطان سليم على مذهب الصفويين وأسلوبهم ، مثل اعتداءاتهم على الإمارات الشرقية وظلم أهل البلاد من السنيين ومخالفة قوانين الشريعة .

ومنها على حد قوله إباحة الفروج المحرمة وإراقة الدماء المكرمة ،

اورا روانهٔ خدمت ما نمایید واگرچنانچه بخوش راضى نشود اورا گرفته در بند و زنجیر وانحلال در آورده بفرستى وخود نیز دست از الكاء موروث ما بردارى تا در صیانهٔ ماو شاهمادوستى قدیم برجابوده باشد والا وعدهٔ جنگ ما وشمادر تبریز ایست به هر كدام قسم كه راضى وقابل هستى محمد چاوش را جواب داده اورا زود روانه گردان كه ما در انتظار جوابیم .
عالم آراى صفوى ص ٤٧٥

وتخريب المساجد والمقابر وإحراق الأضرحة وإهانة العلماء السادات وإلقاء المصاحف الكريمة فى القاذورات وسب الشيخين الكريمين[١] » .

وهذه الطعون وإن كانت قد ضايقت د . ثابتيان واعتبرها استفزاز ، إن أن الدعايات والإشاعات التى كانت تروج بين السنة عن أعمال الشيعة خاصة منذ أيام الدعوة الإسماعيلية فى إيران والعالم الإسلامى هى التى جعلت فكرة السلطان سليم عن مذهب الصفويين تسوء ، وقد ازدادت سوءاً عندما اتخذ الشاه اسماعيل أسلوب العنف أساساً لتدعيم حكمه ونشر مذهب دولته خاصة وأنه قط حاول الاستيلاء على أملاك العثمانيين واعترض طريق بسط نفوذهم على العالم الإسلامى .

كما أنه أورد رسالة أخرى ذكر أن السلطان سليم أتى فيها بحجج ضعيفة لا أساس لها من أجل الدخول فى حرب مع الصفويين واحتلال بعض بلاد إيران . ومن هذه الحجج أنه يدافع عن الإسلام ويغار عليه ويتصدى لكل من يسىء إليه ويضل المسلمين ويتعدى على مقدسات المسلمين[٢] .

---

(١) « مقابح افعال ومساوى احوالت چون اباحت فروج محرمه واراقت دماء مكرمه وتخريب مساجد ومنابر واحراق مراقد واهانت علماء وسادات والقاء مصاحف كريمه در قاذورات وسب شيخين كريمين رضى الله عنهما همه بحد تواتر پيوست » . ثابتيان : اسناد نامه ها تاريخى دوره صفويه ص ١٠١

(٢) نصرة لدين الله المنان قطع وقمع ورد ومنع رسوم محدثه كه رسم قد يست كما ورد فى قوله عليه السلام « من أحدث فى أمرنا هذا فهو رد » متحتم ولازم گشت وچون قضاى ربانى وتقدير صمدانى اجل اجله كفره فجره را در قبضه اقتدار ما نهاده بود كالقضاء المبرم توجه آن ديار نمود وبامتثال

وهذه الرسالة التى أوردها أيضاً تؤكد ما ذهبنا إليه من أن رسائل السلطان سليم كانت تتسم بالتعقل والثقة بالنفس لأنه حتى فى هذه الرسالة حاول أن يبدو مقنعا ومدافعا عن حق ، كما يبرهن على أنه ليس من طلاب الحرب بقدر ما يحاول أن يدعم الدين والحق .

رسائل طهماسب وسليمان

والدارس لرسائل الشاه طهماسب إلى الدولة العثمانية يدرك أنه لم يقلد أسلوب والده فى رسائله بل إنه اتخذ أسلوبا معتدلا وربما كان هذا الأسلوب هو الذى جعل المراسلات تزيد وتستمر بين الصفويين والعثمانيين فى عهد هذا الملك ، بل لعل الدارس يرجح أن طهماسب الذى حكم فترة ليست بالقصيرة فى عمر الدولة الصفوية كان أكثر ملوك القرن العاشر اتصالا بالعثمانيين ، وتبادلا الرسائل معهم .

ورسائل الشاه طهماسب إلى السلطان سليمان العثمانى تشير إلى أنه كان سياسيا بارعا يدير الحوار بينه وبين الخصم فى ذكاء منقطع النظير فقد تبادل مع هذا السلطان الكثير من الرسائل طوال فترة الصراع العسكرى بينهما والتى استمرت حوالى إحدى وعشرين سنة ٩٤٠ هـ — ٩٦١ هـ .

ورغم أن المعارك كانت تميل دائما إلى جانب السلطان سليمان ، إلا أن طهماسب لم يبدو لخصمه شيئا من الضعف بجانب رغبته فى نبذ الحرب والصراع

امر لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ان شاء الله العزيز اقدام كردهيم »
المصدر السابق ص ١١٢

والاتجاه إلى الصلح والوئام ، فلقد أرسل السلطان سليمان إلى الشاه طهماسب رسالة يهدده فيها ، ثم رسالة ثانية يدعوه فيها إلى الحرب .

وإذا نظرنا إلى رد الشاه طهماسب على هاتين الرسالتين وجدناه يقول فى تلك الرسالة التى أرسلها للسلطان سليمان عندما وصل إلى نواحى تبريز ونخجوان استعداداً لقتال سليمان :

« لقد أوصلو إلى سمعنا الملكى أن طائفة الروم المشئومة قد وضعت قدم الشقاوة فى ولاية نخجوان ورفعوا فى مقام الخراب والظلم على الظلم والفسق والفجور ولما كانت رعاية الرعية وحماية البرية واجبة محتمة على ذمة الملوك المشهورين والسلاطين العادلين ، فقد فصلت بعض جيشا من جنود النصر وأرسلتهم إلى تلك الحدود[١] » .

ولكنه يعود فيقول فى نفس الرسالة :

وبناء على هذه الدعوى المنتظمة بدأت فى إعداد مقدمات السلام والصلاح حسب طلب اياز باشا والتماس الوزير الأعظم أحمد باشا ، وقرر بدة الأقران شاه قلى « وزير الحربية » أن يكتب بعض الأمراء المشهورين الرسائل رداً على رسائلهم ويرسلونها[٢] .

ولقد سمح هذا الأسلوب فى الخطاب بأن يكثر تبادل الرسائل بين كبار رجال الدولة والأمراء والحكام من الجانبين بالإضافة إلى ذات الملكين .

ولعل كثرة تبادل الرسائل هذه توحى بأن معظم الرسائل مهما بلغ

---

(٩) الشاه طهماسب ص ٣٠٥

(١٠) المصدر السابق ص ٢٠٦

طولها لا تتضمن معان كثيرة سواء فى الناحية السياسية أو الاجتماعية أو المذهبية بحيث حشدت فى هذه الرسائل عبارات التحية والمجاملة ، ومحاولة بث الثقة ، وكان من الطبيعى أن نشاهد هذه الرسائل من بدايتها إلى قرب نهايتها ألقابا ومجاملات وأشعار تبعد عن أى مضمون سياسى أو اجتماعى ، ويمكننا أن نورد هنا بعض النماذج من هذه الرسائل لكل من الجانبين حتى يتضح لنا إلى أى حـــد أثرت الرغبة فى السلام والتفاهم على أسلوب التخاطب ومراعاة رسوم اللياقة والدبلوماسية وقواعد الأدب والاحترام .

منها تلك الرسالة التى أرسلها السلطان سليمان القانونى من أجل التفاهم حول مصير الأمير بايزيد العثمانى الذى فر إلى البلاط الصفوى حيث يخاطب الشاه طهماسب بمزيد من الاحترام والأدب وحفظ الألقاب بل وزيادتها بما ليس فيها فيقول : « صاحب الجلالة واسع البسطة ، ملاك الرفعة ، ملك الخصلة ، قمر الماهية ، عطارد الفطنة ، ناهيد العشرة ، شمس المنزلة ، بهرام الصولة ، برجيس السعادة ، كيوان السطوة ، نجم سماء السيادة السيار ، كوكب الفيروز المضىء للعالم ، سماء الإمارة ، قطب ملك الدولة والمعالى ، خلاصة أيام وليالى الود ، فلك العزة والجلال ، البدر عالى القدر ، أفق السعادة والإقبال ، بهجة مهجة الملك ، الصبح المضىء الملك ، مشرق أنوار دثار المكرمة ، مطلع آثار الإيالة وملك النجابة ، نجاد النباهة ، أصل الاسكندر وفطنة كسرى وعدل كيخسرو وكاوش ، شوكة قيصر ابهة فريدون ، مزين مسند الحشمة والملك ، مزين زينة عرش التوفيق . متمم مكارم الأخلاق السنية ، مكمل محاسن الأوصاف الملكية ، هاوى ميامن المناقب ، ناشر مناشير المحمدة ، مدار الدولة ، شما الإنصاف المؤيد بتأييد الله الموفق بتوفيق الله شمس أوج التمكن والجاه طهماسب شاه لازالت طوالع عزته فى السعادة مضيئة شارقة ،

وما برحت نجوم حشمته فى بروج السيادة لامعة بارقة[١] » .

وها هو ذا الشاه طهماسب يرد على رسالته محافظا على نفس المعانى التى وردت فى رسالة السلطان سليمان حيث يقول :

« سلطان أعاظم السلاطين والقياصرة الكبار برهان أقاخم الخواقين والأكاسرة بمعالى الرتبة والمقدار ناصب أعلام الملك والدين ، حافظ ثغور الإسلام والمسلمين ، بانى مبانى السلطنة على أعلى مراتب الكمال ، سالب رؤوس الفجرة الكفرة بميامن العز والإقبال ، رافع رايات العدل والإحسان ماحى آية الجور والعدوان حامى حوزة الدين عن مكايد الكفار والمنافقين دافع آثار الأشرار عن وجوه الأرضين ، حارس ناموس الشريعة البيضاء ، كاسر ناقوس الكفرة ، والعناد والأشقياء ، باسط بساط الأمن والآمان ، ناشر صحايف اللطف والامتنان السلطان عالى الشأن ، مدار الفلك ، الخاقان جم الجاه سليمان الوقار ، السلطان العظيم كدار جمشيد المكان ، قيصر السمو ، القائد الشبيه بالاسكندر ، الملك عالى الجاه ، شمس الاشتهار ، خسرو جيش النجوم فلك الاقتدار مورد التأييدات الإلهيـــة ، مصدر أنوار الفيوضات اللامتناهية ، المؤ[illegible] بالتأييدات الجليلة من عند الله الملك العزيز المنان والموفق بتوفيق الله ال[illegible]كريم المستعان ، سليمان سرير السلطنة والحشمة والشوكة والإقبال ومعز ال[illegible] والأبهة والنصفه والعز والإجلال سلطان سليمان شاه خان لازالت أ[illegible]كان سلطنته الزاهرة مقرونة بالدوام ومآثر عظمته وجلالته ممددة لتقوية [illegible]ن الإسلام[٢] » .

---

(١) منشآت فريدون بك[illegible] ص ٢٠٩ — ٢١٠

(٢) منشآت فريدون بك[illegible] ح١ ص ٦٢١ ، ٦٢٢

وقد ترتب على هذا الاتجاه أن يهتم الطرفان بأسلوب الرسائل حيث تجلت فيها قواعد الصنعة وفن التعبير واختيار الألفاظ بدقة بالغة والاستشهاد الكثير بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر الفارسى ومحاولة إبراز الثقافة التى يتمتع بها كل طرف فى مختلف المجالات وأنواع العلوم .

وقد تجلى فى هذه الرسائل أيضاً أنواع المحسنات البلاغية والبديعية من سجع وجناس وطباق واستعراض المترادفات اللغة العربية والفارسية مما جعل الرسائل فى هذه الفترة من الأعمال الأدبية التى تعتبر ركيزة لدراسة تطور النثر الفارسى خلال العصر الصفوى ، إذ انتقلت سمات هذه الرسائل الرسمية بين الشاه طهماسب والسلطان سليمان إلى رسائل الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة بل ونساء الدولتين ، ويكفى هنا أن نقدم مثالا لهذا الأمر يتجلى فى رسالة مهين بانو أخت الشاه طهماسب إلى خاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان تبارك لها بناء مسجد السليمانية وتهديها عدداً من المصاحف كما تطلب منها إرسال أسماء ألوان الجدران حتى يمكنها أن ترسل لها سجاداً يناسب ألوان جدران المسجد هـــدية تزيد الود والصداقة وتبعد الكدر والخصام حيث تقول فى هذه الرسالة : « كانت المحبة تتأكد من جانبنا كما قال الله « يحبهم ويحبونه » .

فبعد عرض صحائف الضراعات واخلاص الآيات وإهـداء مراسم التسليمات مسكية النفحات أوصلها إلى عز الإصغاء وشرف الإنهاء ، فإنه لما كان فى هذه الأيام السعيدة وفى تضاعيف هذه الأوقات المباركة يهتم جلالة ملك الإسلام والخاقان فريدون الحشمة سليمان المقام الملك العادل القاهر والسلطان الباذل الباهر حسب القول الصادق « وإنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » بتشييد بيوت الله دائما وتعمير بلاد الله أبدا ،

خاطره عطش وراحة الناس ماء الحياة ، همته خسرو وتعمير العالم شيرين ، إن ما يهواه قلبه ويحبه هو رونق الشرع المطهر وقوة الدين ، وأنه أمر ببناء مسجد أسس على التقوى فى العاصمة أستانبول وإنشاء ثانى المسجد الأقصى مسجد جامع هو ثانى اثنين المسجد الأقصى بسبب عين الصفاء ، وجعل آية « والبيت المعمور والسقف المرفوع منظورة ومسموعة للعالمين . منذ منح الزمان للعالم صلاة الخير ؛ لم يعتل أى فرد قط أفضل من دعاء الخير هذا[1] .

---

(١) يحبهم ويحبونه چنين فرمود
كه انعقاد محبت ز جانب مابود

بعد أز عرض صحايف ضراعات اخلاص آيات واهداى مراسم تسليمات مسكية النفحات به عز اصغا وشرف انها مى رساندكه چون در خلال اين ايام سعادت انجام ودرتضاعيف اين اوقات خجسته فرجام اعلى حضرت بادشاه اسلام وخاقان فريدون حشمت سليمان مقام الملك العادل القاهر والسلطان الباذل الباهر بر مصدوقه ٔ وانما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر كه هميشه معمار بيوت الله وبيوسته در تعمير بلاد الله است

خاطرش تشنه وآسايش خلق آب حيات
همتش خسرو ومعموره ٔ عالم شيرين
انچه گردد دل او شيفته ٔ ووالة آن
رونق شرع مطهر بودوقوت دين

دردارا لسلطنه ٔ استانبول بناء مسجد اسس على التقوى واحداث ثانى مسجد أقصى فرمودند

مسجد جامعى ز عين صفا ثانى اثنين مسجد اقصى
وآثار والبيت المعمور والسقف المرفوع منظور ومسموع عالميان گردانيده

وتعتبر رسالة الشاه طهماسب إلى السلطان سليم الثانى التى يعزيه فيها فى وفاة والده السلطان سليمان ويهنئه فيها بتوليه عرش العثمانيين من العلامات البارزة لتطور فن كتابة الرسائل الرسمية فى هذه الفترة بالإضافة إلى أهميتها التاريخية ومضامينها الأدبية والاجتماعية .

ومما يجعلنا نتوقف أمامها قليلا أيضاً أن أمين أحمد قمى ذكر فى كتابه خلاصة التواريخ أن الشاه أمضى فى كتابتها ثمانية شهور صرف أوقاته كلها لها فكان الكتاب والمقربون والمستشارون والفضلا والشعراء يملون على سمعة النظم والنثر . وكان يكتب منه ما يستحسنه فوقعت هذه الرسالة فى منشور طوله سبعين ذراعا(١) .

ولنعرض هنا نموذجا منها حيث يقول فى الحديث عن ظروف وفاة السلطان سليمان :

« وكانت جماعة كبيرة من طائفة المشركين مع قوادهم الملاعين قد تحصنوا فى ذلك الحصن الحصين مع مدافع بلا عدد أو غاية وبنادق بلا حد أو نهاية على سبيل النخوة والجهالة وغرور الكفر والضلالة : شعر : جيش كثيف فيه من الكفار كلهم أخساء باحثين عن المتاعب ، جماعة نافرة عن

تاداده روزگار به عالم صلای خير

تنهاد هيچ فرد به از اين دعای خير

منشآت فريدون بيك ٢ ص ٦٣

(١٤) ثابتيان : اسناد نامه های تاريخی واجتماعی دورهٔ صفويه [ص ١٤٢]

مذهبهم مثل بعيدة عن سبيل الخلق مثل الشياطين والوحوش ، كلهم وجوه قذرة كثيرة النوم لم تغسل بالماء طوال العمر ، لا مذهبهم الطاعة وعادتهم الضراعة ؛ لا يسجدون في محراب ؛ ولا يؤذنون للصلاة ؛ كلهم شديدو الحقد ضعيف النخوة أكثر من الكلاب ولكن أحقر من الكلاب . وقد استحكم أولئك الملاعين المرتدون في القلاع والحصون برغم باطلهم واستعدوا للحرب والقتال وقد حاصرهم جيش الظفر جسم الإسلام تحت طاعة جلالة الخاقان الذي مآبه الجنة القلعة مثل البحر المحيط الذي أحاط اطراف الربع المسكون واستعد للحرب والقتال(١) .

---

(١) وجمعی کثير از طايفهٔ مشرکين باسرداران وملاعين در آن حصن حصين بارتوپهای بی عدو غايت وتفنگهای بی حد ونهايت از روی نخوت وجهالت وغرور کفر وضلالت متحصن شده بودند .

زکافر سپـــاه کثير دراو
همـــه بدسگالان پر خاشجو
گروهی ز آمين آثان نفور
چو ديو ودد از شيوهٔ خلق دور
همه روی نا شوی بسيارخوب
نداره همـه عمر شويش زآب
نه آيين طاعت برسم نيـــاز
نه محراب سجده نه بانگ نماز
همه سخت کينه همه سست رگ
ز سگ بيشتر ليك کمتر ز سگ

وآن ملاعين مردودين در قلاع وحصون که برغم باطل خودشان از ضلال محصون پای استوار محکم کرده آماده حرب وقتال شدند ولشکر ظفر

وكما يبدو من الأحداث . أن هذه الرسالة وما صاحبها من هدايا فاخرة كانت سبباً فى تجديد اتفاقية السلام التى كان الشاه طهماسب قد عقدها مع السلطان سليمان كما أرسل الشاه طهماسب رسالة إلى السلطان مراد الثالث يعزيه فيها على وفاة والده السلطان سليم ويهنئه على تتويجه سلطاناً على الدولة العثمانية وإن كانت هذه الرسالة أقصر من رسالته لسليم إلا أنها ترسمت خطاها . وحافظت على سماتها .

رسائل محمد خدابنده ومراد الثالث

يمكن القول بأن اختلال الأوضاع فى إيران بعد وفاة الشاه طهماسب وتنازع الحكم بين أبنائه ثم الفترة القصيرة التى حكمها الشاه إسماعيل الثانى والتى اتسمت بالقوة وسفك الدماء في البيت الصفوى ذاته ثم تولى الشاه محمد خدابنده الذى كان أعمى . العرش . وتدخل أخته پريخان خانم ثم زوجته مهد عليا شئون الحكم وتصريف الأمور فى الدولة . قد أثر على مضمون الرسائل المتبادلة بين الصفويين والعثمانيين وأسلوبها .

وقد ظهر واضحا فى رسائل الطرفين مدى ضعف الجانب الصفوى وتحكم الجانب العثمانى . وإن كانت الرسائل المتبادلة قد قلت نين الطرفين إلا أننا يمكن أن نتلمس نطور أسلوب هذه الرسائل من خلال ما تبودل

پيكر اسلام بحكم حضرت خاقان فردوس آشيان مثل بحر محيط كه اطراف ربع مسكون را احاطه كرده آن قلعه را محاصره كرده آماده حرب وقتال گشته » .

مخطوط مصور ضمن مجموعه فارسى وتركى برقم ١٠٠ كتابخانه ملى طهران

منها بين الشاه محمد خدابنده والسلطان مراد خان العثمانى الذى استغل اضطراب الأمور فى الدولة الصفوية وضعف حكام الصفويين فنقض معاهدة السلام المبرمة بين الطرفين منذ عهد السلطان سليمان القانونى . وأغار على حدود الدولة الصفوية ، بل وتوغل فى أراضى الصفويين ، واستولى على عدة مدن من بينها تبريز العاصمة السابقة للصفويين .

واضطر الشاه محمد خدابنده إلى أن يتقدم إلى العثمانيين طالبا الصلح والسلام وأن يغمض عينه عن بعض المناطق التى كانت فى حوزة الصفويين فى مقابل أن يرد العثمانيون مدينة تبريز للصفويين . حيث يقول فى رسالة له إلى السلطان مراد الثالث :

« لو أن جلالة جم الجاه ملك الحضرة جعل نصب عينيه الرأى المزين للعالم الذى هو مركز محيط العدالة والإحسان بمراعاة رعايا الطرفين والمحافظة على البرايا بمقتضى أرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء . وحسب مضمون الآية الكريمة : ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وغسلتم غبار الكدر الذى جثم على مرآة خاطركم المبارك من أوضاع إسماعيل ميرزا وأطواره غير المستحبة برشحات سحاب « ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا واحكمتم حبال خيام الوداد والاتحاد بأوتاد السداد لقوله تعالى « أوفوا بعهدى اوف بعهدكم . وأمرتم بتجديد قواعد الصلح والصلاح التى هى سبب رضاء جناب الخالق وموجب رخاء حال عامة الخلائق : حتى لا يحدث من تقابل عساكر الطرفين ووقوع النزال والجدال بينهما إراقة دماء أهل الإسلام الذين وجهتهم كعبة العظام وأمة حضرة خير الأنام عليه وعلى آله التحية والسلام ، ويؤدى مصداق الآية من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى

الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، وبمقتضى سياق إن الذين يقتلون للمؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً فإنه يتحمل جند الظفر هذه المظلمة العظيمة التي لا تتحملها الجبال الراسيات ، وحتى تصان نفوس المسلمين وأعراضهم في مهد الأمن والأمان بعطف ذلك الملك الشبيه بسليمان ورأفته[1] » .

وهكذا اقتضت طبيعة الأحداث وتغير الظروف ذلك التغير الذي طرأ

---

(١) اگر نواب جمجاه سپهر بارگاه در باب مراعات ومحافظت رعايا وبرايا از طرفين بمقتضاى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ومضمون آية كريمه ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها را نصب العين راى عالم آرا كه مركز محيط عدالت واحسان است داشته غبار كدورتى كه از اوضاع واطوار نا پسنديده اسماعيل ميرزا بر آئينه خاطر مبارك نشسته بر شحات سحاب ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا شسته واطناب خيام وداد واتحاد را باوتاد سداد أوفوا بعهدى اوف بعهدكم استحكام داده تجديد قواعد صلح كه سبب رضاى حضرت خالق وموجب رفاه حال عامه خلايق است فرمايند تا از تردد عساكر طرفين ووقوع نزاع وجدال در مابين اهراق دماء اهل اسلام كه رو بكعبه عظام دارندوامت حضرت خير الانام عليه وعلى آله التحية والسلام بفعل نيايد وبمؤادى مصداق من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جيعا وبمقتضاى سياق ان الذين يقتلون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا عساكر ظفر مآثر متحمل اين مظلمه عظيمه كه جبال را سيات را طاقت حمل آن نيست نشوند تا نفوس واعراض مسلمانان بواسطهٔ عاطفت ورأفت آن پادشاه سليمان نشان در مهد أمن ماماان در آمده » .

فلسفى : زندگانى شاه عباس اول ص ٢٠٢ — ٢٤٠

على مضمون وأسلوب الرسائل فى عهد محمد خدابنده حيث اتضح بجلاء أن الشاه محمد كان حريصاً على مخاطبة الجانب الإنسانى فى السلطان مراد ومحاولة تضييق الخلاف بين الدولتين .

لذلك لم يكن يعمد فى خطاباته إلى الكلمات القوية والعبارات الرنانة ، وإنما كان يكثر من استخدام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، خاصة تلك التى تتضح وتدعو إلى السلام والرحمة والمغفرة ، كما قلت فى هذه الرسائل الأشعار إلى حد كبير فندر استخدامه لها إلا ما كان يحمل منها حكمة أو مديحاً وإن كانت قد احتفظت بصفة الأطناب والتطويل واستخدام المحسنات البلاغية والبديعية التى كانت من سمة النثر فى ذلك العصر .

ويبدو أن السلطان مراد كان يدرك هذه المعانى والمتغيرات ، لذلك كان يرد على الشاه محمد باللغة التركية مما يدل على محاولة إفهام خصمه بقوة جانبه وتحكمه فى سير العلاقات بين الجانبين .

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع الفارسية :

١ — دكتر ثابتيان - اسناد نامه هاى تاريخى دورة صفويه طبع تهران ١٣٤٣ه‍ ش

٢ — حسين ابدال پيرزاده زاهدى - سلسله النسب صفويه - برلين ١٣٤٣ ه‍ ش

٣ — سعد الدين مهور - زبده الأشعار مخطوط بمكتبه توپكابو تحت رقم - ر - ٨٢٤

٤ — سليم الأول العثمانى - ديوان سليم - طبع اسطانبول ١٣٠٦ ه‍

— ديوان سليم مخطوط بمكتبه جامعة إسطانبول تحت رقم ١٠١٦

— ديوان سليم مخطوط بمتحف جامعة استانبول تحقيق مسيو هيوارت

٥ — سليمان القانونى : ديوان محبى مخطوط بمكتبه أياصونيا باستانبول تحت رقم ٨٣٩٧١.

٦ — طهماسب شاه - مذكرات طهماسب طبع كلكته ١٩١٢ م

— رسائل شاه طهماسب تحقيق يد الله شكرى طبع تهران ١٣٥٠

٧ — علاء الدين منصور شيرازى - شاهنامه سلطان مراد خان مخطوط بمكتبه توبكابو سراى تحت رقم — ٢٠٠ ب

٨ — فريدون بيك - منشآت فريدون بيك مخطوط بمكتبه السليمانية باستانبول

٩ — قاسمى گونا بادى : شاهنامه مخطوط رقم ١٣٩٦ مكتبه السليمانيه باستانبول .

١٠ — محمد معصوم : تاريخ سلاطين صفويه - طبع تهران ١٣٥١ هـ ش

١١ — محمود هدايت الله فطنزى ونقاوة الآثار طبع تهران ١٣٥٠ هـ ش

١٢ — مجهول المؤلف - عالم آراى صفوى تحقيق يد الله شكرى طبع تهران ١٣٥٠ هـ ش

١٣ — مجهول المؤلف - شاهنامه سلطان سليم مخطوط بمكتبه توبكابو سراى باستانبول تحت رقم ١٣٥٩٥ ا

١٤ — نصر الله فلسفى - زندشانى شاه عباس أول طبع تهران ١٣٢٤ هش

١٥ — نفعى ارضروس الديوان - مخطوط بمكتبه السليمانية بأستانبول برقم ٥٦٣

ثانياً : المصادر والمراجع التركية :

١ — أبو الضيا توفيق - نمونه ادبيات عثمانيه طبع القسطنطينه ١٣٢٩ هـ

٢ — أحمد راسم : عثمانلى تاريخى طبع استانبول ١٣٣٠ هـ

٣ — اسماعيل الأول الصفوى: ديوان خطائى مخطوط بدار الكتب المصريه ٤ م مجاميع تركى .

٤ — رجائى زاده محمود أكرم : قد مادن برقاج شاعر طبع القسطنطينه ١٣٠٥ روميه .

٥ — ضيا باشا خرابات طبع استنبول سنة ١٢٦١ هـ

٦ — عبد الرحمن : تاريخ صفويان مخطوط بمكتبه خسرو باشا باستنبول تحت رقم ٥٢٦

٧ — قسطمو نيلى لطيفى : تذكره لطيفى طبع استنبول ١٣١٤ هـ

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٠٠ لسنة ١٩٧٨